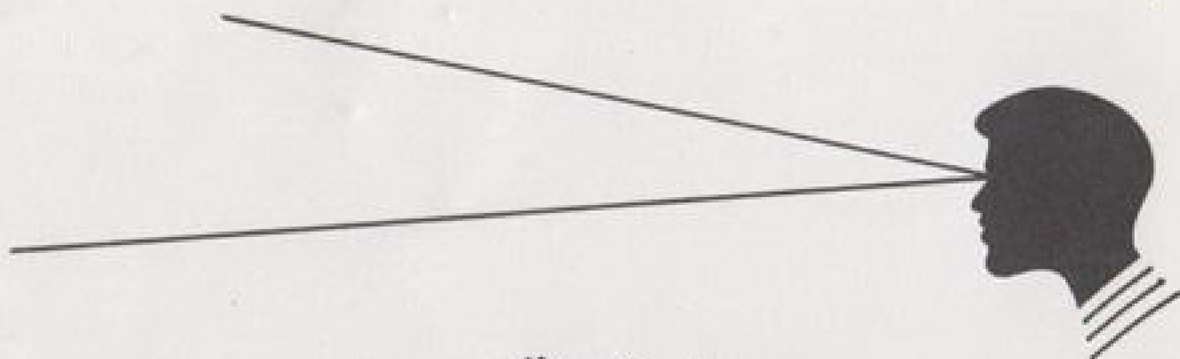
١٥

سلسلة رجل المهام الصعبة

أرض الشرّ



أرض الشرّ



سلسلة

رجل المهام الصعبة

المغامرة الخامسة عشرة

أرض الشر

تأليف : مجدي صابر

دار الجيل

بيروت

الطبعة الأولى
١٩٩٣



دار الجيل
للطبع والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

ص.ب ٨٧٣٧ - برقياً : دار جيلاب - تلكس : ٤٢٦٤١ دار جيل

رجل المهام الصعبة:

إنها سلسلة جديدة حافلة بالإثارة والمغامرة نقدّمها لك أيها القارئ العربي الكريم..

ففي ظل عالم بات يعتمد كثيراً على أجهزة مخابراته ووسائلها السرية لتحقيق أهدافه.. وفي ظل ما يسمى بحرب المخابرات السرية.. وفي ظل أقصى درجة من المهارة والذكاء يبرز اسم «ماجد شريف».. فهو طراز جديد فريد لا مثيل له في عالم المخابرات..

وإذا كان «جيمس بوند» هو أسطورة الغرب في دنيا المخابرات.. فإن «ماجد شريف» هو الأسطورة القادمة من الشرق.. من الوطن العربي الكبير..

فهو الرجل الذي لا يقهر.. والذي يدخره رؤساؤه للحظة الأخيرة.. حيث لا يكون هناك حل آخر غير «ماجد شريف»..

ولم يحدث أن خيّب «ماجد» أمل رؤسائه فيه أبداً..

المطاردة الوحشية

تعالت دقات الطبول في كل أرجاء الغابة المفتوحة على مشارف العاصمة «نيروبي» حتى بدا وكأن السماء تردد الدقات الغاضبة المتتالية في صخب محموم، لتنقل رسالة خاصة بأقصى قدر من السرعة، عبر أرجاء الغابة الواسعة التي كانت تمتد لمسافة تزيد عن السبعين كيلومتراً وتعمر بكل أنواع الحيوانات والوحوش البرية.

وفي اطراف الغابة ومع وجود خدمات تليفونية وتلغرافية منتظمة، كوسيلة سريعة لتوصيل أي رسالة في أي مكان بأنحاء «كينيا». . إلا أن أصحاب تلك الرسالة كانوا يفضلون استخدام دقات الطبول في توصيل رسالتهم لغرض خاص بهم، وبالرغم من أن دقات الطبول كوسيلة لنقل الرسائل قد

بطل استخدامها أو كاد، إلا في الأماكن الشديدة الوعورة وغير المطروقة في غرب «كينيا» وخاصة في غابات «الماساى» الوحشية.

وفزعت كل طيور وحيوانات الغابة المفتوحة، وأصابها الفزع والاضطراب مع تعالي الدق الذي كاد يصم الآذان، وكأنما استطاعت تلك الحيوانات والطيور البرية أن تقرأ رموز الرسالة وإيقاع دقاتها، فولَّت هاربة.

وكانت الرسالة الصاخبة العالية تقول: «اقبضوا على ذلك المصري وأتوني به حياً أو ميتاً».

لم تكن الرسالة موقعة من شخص ما.. ولكن بدا من الواضح من هو صاحبها.. وأي سطوة ونفوذ يملكهما في قلب تلك الغابات الوحشية.

فجأة أطل وجه شاحب مخضب بالدماء تطل من عينيه نظرة فزع لا حد لها.. كانت ملابسه ممزقة وذراعاه تسيل منهما الدماء وتمتلئ بالخدوش وساقاه قد امتلأتا بالجروح العميقة، وتشققت قدماه لطول ما واصل هروبه في ذلك الجحيم المفتوح.. جحيم الغابات.

ووقف لحظة ينصت لدقات الطبول التي لم يفهم منها شيئاً . . ولكن غريزته دلته على أنها رسالة تخصه هو . . رسالة لكل سكان الغابة تطلب شيئاً وحيداً . . رأسه!

ولقد كان «سليم العدوى» رجلاً قد واجه الخطر والموت مرات عديدة من قبل ، ولطالما تعامل معهما بقلب بارد صلب لا يهتز أو يلين .

ولكن في تلك المرة كان مذاق الخطر ورائحة الموت مختلفين . . ولقد ظلّ أياماً طويلة يهرب ويهرب في قلب الغابات المتوحشة حتى كاد يفقد الأمل في نجاته ويترك نفسه للأعداء لتكون النهاية على أيدي أولئك المحاربين المتوحشين الذين لن يكفيهم قتله ، بل سيتركون جثته معلقة فوق الأشجار لتفقأ الصقور عينيه قبل أن تشرع في التهامه!

وزأر من الخلف حيوان وحشي ، والتفت «سليم العدوى» في رعب فطالعته عينان كالجمرتين المتقدتين تحدقان فيه . كانتا عيني فهد . ودلت نظرته الوحشية أنه لم يتناول طعامه منذ يومين على الأقل .

وأدرك «سليم العدوى» أنها النهاية . . لقد نجح في الهروب

من مطارديه المتوحشين عبر الغابة المفتوحة لأيام طويلة، ولكن ها هو القدر يوقعه بين براثن فهد متوحش لتكون النهاية قبل أن يتمكن من أداء آخر خطوة في مهمته. تلك المهمة التي كان ينبغي عليه أن يؤديها حتى النهاية، ولو كلفه الأمر حياته!

وأغمض سليم العدوى عينيه وقد أدرك أنها النهاية.

ولكن الفهد الجائع استدار فجأة وهرول مبتعداً.

وبالغريزة أدرك «سليم العدوى» سر فرار الفهد.

كان هناك خطر قريب، خطر لا يستطيع حتى ذلك الوحش مواجهته.. وفي اللحظة التالية تأكدت ظنون سليم عندما تعالى الصخب والضجيج الوحشيين من خلفه.. كان يظن أنه خدع مطارديه بسبب مهارته البالغة في تقفي الأثر بالغابات وخبرته الواسعة بالعيش فيها.. ولكن الأصوات الغاضبة الوحشية التي حملتها الرياح إليه دلته على أنه كان واهماً.. وأن إصرار محاربي قبيلة «الماساى» على مطاردته والقبض عليه كان يفوق أي شيء آخر في العالم.

ولم يكن الوقت ليحتمل أي انتظار فانطلق «سليم العدوى» يعدو بكل ما تبقى لديه من قوة برغم الإنهاك الشديد وجروحه

العديدة ودمائه التي نزفت منه . . ومن خلفه تصاعدت صيحات المطاردين . . والشمس بأعلى السماء المفتوحة توشك على الغروب وقد صبغت السماء بلون دامٍ جريح .

وأزَّ سهم في الهواء كاد يرتشق في رقبة سليم إلا إنه انحرف مليمترات قليلة عن هدفه ، فضاعف سليم من سرعته وغريزة الحياة تدفعه لأن يبذل مجهوداً خارقاً للنجاة بحياته .

وتبدت لعيني سليم نهاية الغابة أخيراً . . وظهر طريق أسفلتي ناعم ممتد إلى نهاية البصر . . حيث تقع العاصمة «نيروبي» على مسافة كيلومترات قليلة .

وأدرك سليم أن نجاته مرهونة بالوصول إلى العاصمة . . حيث يستحيل على أولئك المتوحشين الوصول إليه أو مواصلة مطاردته بعيداً عن منطقة نفوذهم في الغابة .

وأخيراً وصل سليم للطريق الإسفلتي ، ولوّح بيديه في لهفة إلى أول سيارة مرت به ، ولكن ركاب السيارة نظروا إلى ملابسه الممزقة وجروحه العديدة في ارتياب شديد ممّا دفعهم الى الابتعاد عنه في سرعة أكبر .

وبرزت سيارة أخرى مقفلة من قلب الغابة ، لم يكن من

شك في أن أصحابها كانوا يقضون بعض الوقت داخل الغابة لصيد حيواناتها البرية وتصوير وحوشها.

وألقى «سليم العدوى» بنفسه على الأرض متظاهراً بالموت فوق الطريق الأسفلتي. واقتربت السيارة ثم توقفت بفرامل حادة عندما شاهده راكبها الوحيد. وقفز قائد السيارة نحو سليم الذي انتصب في الحال شاهراً قطعة خشبية حادة في يده كسلاح في وجه صاحب السيارة الجيب، وهتف به مهدداً: عليك أن تأخذني إلى «نيروبي» حالاً.. وإلا فانني مضطر للإستيلاء على السيارة وتركك وحدك في الغابة، فهناك من يطاردني ويريد قتلي.

وقبل أن يجيب قائد السيارة تعالت من الخلف صرخات المتوحشين.. وأزت السهام في الهواء لتصيب السيارة وتنغرز في اجناحها، فأدرك صاحبها على الفور صدق ذلك المصري الجريح وسر محاولته للإستيلاء على سيارته، فهتف به: فلنسرع إلى السيارة من هؤلاء المتوحشين، فإنهم إذا لحقوا بنا قطعوا رأسينا.

وقفز الاثنان إلى السيارة التي انطلقت بهما بأقصى

سرعتها . . وتناثرت السهام في الهواء دون أن تتمكن من اللحاق بطريدتها داخل السيارة المقفلة الكبيرة .

وعندما ابتعدت السيارة بمسافة آمنة تنفس سليم في ارتياح وأغمض عينيه وهو لا يصدق بنجاته . .

والتفت إليه صاحب السيارة في دهشة بالغة يسأله : لماذا يطاردك هؤلاء المتوحشون ويريدون قتلك؟

فتح سليم عينيه وحدق في صاحب السيارة ، ثم ابتلع لعابه في توتر قائلاً : هذا سر لا يمكنني أن أبوح به!

وامتدت يده الجريحة بتلقائية تتحسس شيئاً داخل حزامه العريض حول وسطه . ووضح لقائد السيارة أن تلك المطاردة الوحشية كانت تتعلق بشيء ما يختفي داخل الحزام العريض ، وأنه مهما ألقى من أسئلة على راكبه الغريب فلن يحصل منه على أي إجابة ، فلزم الصمت .

وأخيراً تبدت أضواء العاصمة ومبانيها التي كانت تتراوح ما بين العمائر الضخمة التي يصل ارتفاعها إلى عشرين طابقاً وتمتد حولها الحدائق والطرقات السريعة الواسعة النظيفة ، والأكواخ الحقيرة المتراصة بجوار بعضها البعض تحيطها الخرائب

والمستنقعات في الجانب الآخر من المدينة.

وتساءل قائد السيارة المقفلة لراكبه: إلى أين تريد الذهاب؟

لمعت عينا سليم لحظة خاطفة ثم غمغم بصوت متوتر: خذني إلى السفارة المصرية بالحي الدبلوماسي.

فرمقه قائد السيارة في شك وسأله: هل أنت دبلوماسي مصري؟

فاكتست عينا سليم بغضب وهتف: ليس هذا من شأنك.

فأطبق قائد السيارة فمه وواصل القيادة صامتاً.

كان الحي الدبلوماسي في قلب العاصمة.. وفجأة شق الفضاء أربعة سهام أخذت طريقها في دقة بالغة إلى إطارات السيارة الأربعة.

وفي الحال تباطأت سرعة السيارة وترنحت في اضطراب وإطاراتها تفرغ من الهواء بسرعة، فصاح سليم في غضب: هؤلاء الأوغاد.. لقد سبقنا بعضهم في الوصول إلى العاصمة، ولم أكن أظن أن نفوذ ذلك الوحش يمكن أن يصل إلى «نيروبي» أيضاً.

والتفت إلى قائد السيارة قائلاً : واصل القيادة ولا تتوقف أبداً مهما كانت الأسباب .

ولكن قائد السيارة هتف به : هذا مستحيل . . لن يمكنني السير بإطارات مفرغة من الهواء .

وصرخ سليم به : أيها الغبي . . إنك لا تعرف أي خطر نتعرض له .

ولكن قائد السيارة واجهه في غضب حاد قائلاً : ليس لي شأن بأي خطر تتعرض له . . ويكفيني ما أصابني بسببك حتى الآن . . هيا غادر سيارتي بسرعة وإلا استدعيت الشرطة لك .

والتفت سليم مطلاً خارج السيارة المتوقفة فلمح مشهداً أثار الرهب في قلبه .

وفي لحظة خاطفة صرخ في قائد الجيب وهو يلقي نفسه خارجاً : غادر السيارة بسرعة وإلا كانت نهايتك .

ولكن صاحب الجيب لم تكن له نفس السرعة ، وقبل أن يفهم سر تلك الصرخة المحذرة ، كان هناك سهم مشتعل قد انطلق من أحد الأقواس وأخذ طريقه إلى خزان الوقود بالسيارة . وما أن أصاب السهم المشتعل هدفه حتى انفجرت

السيارة في صوت هائل وتحولت إلى كتلة من النيران. ولم يكن بوسع سليم أن يفعل شيئاً للسيارة أو صاحبها التعس، فألقى بنفسه متدحرجاً على الرصيف ليتحاشى سيل السهام الذي انطلق خلفه. . ثم اندفع يعدو بكل سرعته نحو هدفه الأخير.

وكان مبنى السفارة المصرية يقع فوق ربوة عالية تضم عدداً من السفارات الأخرى، ويمتد إلى طريق أسفلتي ناعم يتطلب الصعود فوقه مهارة وحذر.

وكانت أضواء السفارة في ذلك الوقت مطفأة بعد أن غادرها العاملون فيها.

حجرة وحيدة كانت مضاءة وتطل على حديقة مبنى السفارة الصغير: كانت هي حجرة السكرتير الثالث في السفارة، وقد انشغل في كتابة بعض التقارير الروتينية على الآلة الكاتبة بعد ان أصابه الملل لبقائه في مكانه حتى ذلك الوقت المتأخر.

واندفع سليم لاهثاً وصدره يحترق وأنفاسه تكاد تغادره. . وطرق الباب في عنف دقات متتالية حادة. ومرت لحظات

طويلة قبل أن ينفتح الباب ويبرز من مدخله وجه أنثوي هادئ هادىء لفتاة ذات ملامح مصرية خالصة بعينين عسليتين وبشرتها القمحية وشعرها الأسود الغزير الاسود الطويل وملابسها المحتشمة.

ووقفت الفتاة تحدق في سليم لحظة وقد عكست عيناها دهشتها الشديدة لرؤيته ومنظره الغريب، وقبل أن تنطق بشيء بادرها سليم قائلاً في لهفة: أريد مقابلة السفير فوراً لمسألة عاجلة.

ولكن الفتاة أجابته قائلة: إن سعادة السفير ليس في «كينيا» بأكملها، فقد استدعته الخارجية المصرية للعودة إلى القاهرة على وجه السرعة.

فعض سليم على شفته السفلى في قسوة وألم. كان هذا هو آخر ما يتوقعه، وقالت الفتاة في دهشة: إنني أدعى «حسناء كريم» وأنا السكرتير الثالث في السفارة، فهل يمكنني أن أقدم لك أية خدمة؟

بان التردد على وجه سليم لحظة، وسألته حسناء: ولكن من أنت.. ولماذا أردت مقابلة السفير؟

ولكن سليم غمغم قائلاً : ليس هذا هو المهم الآن ، فإن الظروف تعاكسني هذه المرة بطريقة سيئة .

وأخرج من جيب صغير بحزامه مجموعة من الأوراق والمستندات المكتوبة بخط دقيق احتوت على خرائط عديدة ، وطويت عدة مرات حتى صارت بحجم قبضة اليد ومدها إلى سكرتيرة السفارة قائلاً في لهفة : عليك أن تحتفظي بهذه الوثائق ولا تسلميها إلا للسفير شخصياً بعد عودته و . .

وجحظت عينا سليم وبان فيها ألم قاتل وبتر عبارته فجأة . . وتراخت ساقاه وسقط على الأرض وهو يتشبث بباب السفارة ، فظهر طرف سهم مسموم انغرز في ظهره .

وشهقت سكرتيرة السفارة في ذعر . . وصرخت في جزع: لقد أصابك سهم . . إنك بحاجة إلى طبيب فوراً .

ولكن سليم أشار لها بصوت متألم متقطع قائلاً : لا فائدة . . لن يفيد الطبيب بشيء ، فهذه السهام مسمومة وسمها يقتل خلال ثوان قليلة .

ولمعت عيناه بآخر بريق للحياة وهو يكمل للسكرتيرة : عليك إخفاء هذه الوثائق ولا تعطيها لهؤلاء الوحوش مهما كان الثمن .

وانحنت حسناء في ذعر تسأله : من هم هؤلاء الذين تتحدث عنهم؟

ولكن سليم أشار لها في صوت مبحوح هامس قائلاً : لا وقت الآن للشرح . . أسرعي بدخول السفارة وأغلقي بابها جيداً ، واستدعي الشرطة للقبض على هؤلاء الوحوش قبل أن تصل أيديهم إليك .

تراجعت حسناء للخلف في ذعر ولكن ما أن شاهدت ذلك المنظر المخيف أمامها حتى شهقت في ذعر أشد .

كان هناك عشرات المتوحشين المصبوغي الوجوه ولا يغطي أجسادهم غير مئزر حول وسطهم ، وقد اندفعوا صوب مبنى السفارة شاهرين رماحهم وسهامهم المسمومة .

ولم تكن حسناء في حاجة إلى تحذير لكي تدرك أن حياتها أيضاً معرضة للخطر ، وبنظرة خاطفة إلى سليم أدركت أنها لم يعد بإمكانها تقديم أي مساعدة له . وأشار لها سليم إشارة واهنة فانحنت فوقه ، وهمس لها بصوت هامس ضعيف : اتصلي «بالسيد» . . وضاعت بقية كلمات سليم وسط صراخ المحاربين المتوحشين ، وفي اللحظة التالية مالت رأسه وقد

فاضت روحه، فقفزت حسناء من مكانها وأسرعت إلى الداخل وبعنف أغلقت باب السفارة الذي ارتشق فيه عدد من السهام، واندفعت حسناء مهرولة في اضطراب نحو تليفون السفارة، وما أن رفعت السماعة حتى أدركت عبث محاولة الاتصال بالشرطة لإنقاذها.

ذلك لأن التليفون كان يرقد كجثة هامدة، بعد أن قام شخص بقطع أسلاكه في الخارج! ثم بدأ هجوم المتوحشين على مبنى السفارة في اللحظة التالية!

* * *

زعيم الماساى

وقفت حسناء ذاهلة في مكانها وهي لا تدري ما تفعله . . وصوت صرخات المحاربين المتوحشين يصلها فيبعث الرجفة في أوصالها ، وهم يدقون باب السفارة في عنف شديد ويوشكون على تحطيمه وانتزاعه من مكانه .

كان موقفاً لم تتخيل أن تواجهه في يوم من الايام . . فعندما اختارت العمل بالسلك الدبلوماسي كانت تظن أنه عمل لا يزيد عن السفر حول العالم ورؤية المعالم السياحية ، بالإضافة إلى حفلات الاستقبال التي يرتدي فيها القوم أفخر ثيابهم ، دون أن تدري أنه في بعض الأحيان يكون العمل الدبلوماسي أكثر خطورة من الحروب ذاتها!

وكانت قد عينت بوظيفة السكرتير الثالث للسفارة المصرية

في «كينيا» منذ ثلاثة أيام فقط . . وكل ما قيل لها أن عملها لا يزيد عن الضرب على «الآلة الكاتبة» لكتابة بعض الرسائل والتقارير الروتينية التي تبعث على الملل، في مدينة كل ما فيها يبعث على الملل أيضاً.

وها هي تواجه موقفاً كان يمكن أن يُفقدها وعيها إذا ما شاهدته فوق شاشة التليفزيون، فما البال وهي تواجهه وجهاً لوجه؟

وفجأة تحطم الباب بضربة هائلة فشهقت حسناء وتراجعت للخلف في ذعر.

وظهر في مدخل الباب شاب أسود مفتول العضلات أمسك بحربة في يده . . وقد ارتدى مئزر نمر حول وسطه، وبدا بملامحه الغليظة الخشنة وشعره القصير وأنفه الذي تدلت حلية من جانبه الأيسر، مثل حيوان وحشي لا يمكن أن يوقفه شيء عما يريد.

تراجعت من التقاط أنفاسها وهتفت في الزنجي المتوحش: كيف تقتحم مكاناً دبلوماسياً ذا حصانة بهذا الشكل؟

ونطق الزنجي الشاب بصوت عميق بإنجليزية واضحة قائلاً:

إن «سامنجو» يقتحم ما يريد من أماكن ويحصل على ما يريد من أشياء، ولا يمكن لأحد إيقافه أبداً. ومن يحاول يكن مصيره الموت.

ضاقت عينا حسناء في توتر، وشهقت عندما تذكرت تلك الجريدة الكينية الرسمية التي قرأتها لحظة وصولها «نيروبي».

كانت الجريدة تتحدث عن سطوة زعيم قبيلة «الماساى» في غرب «كينيا».. وعن وحشية زعيمها الشاب الذي لا يهمه أية قوانين أو محرمات. وأنه أقام من قبيلته ما يشبه منطقة منعزلة في غرب البلاد يستحيل أن يدخلها إنسان أياً كان ويخرج منها حياً. وأنه حتى السلطات المحلية وقوات الجيش تخشى من الاصطدام معه، وتوشك أن تعترف له بالسيادة على ذلك الجزء من البلاد!

وتذكرت حسناء شيئاً، كان اسم زعيم قبيلة الماساى تلك هو «سامنجو».. وكانت الصورة المنشورة في الجريدة لها نفس ملامح ذلك الزنجي الواقف أمامها في تحد!

ونطقت حسناء في هلع قائلة: أنت.. زعيم «الماساى»؟

ثم استعادت شجاعتها المفقودة وصاحت به: ولكن مهما

كنت فليبس لك حق اقتحام مكان دبلوماسي ذي حصانة بتلك الطريقة. . فأنت بذلك تعرض نفسك للمساءلة القانونية طبقاً للقوانين الدولية بخصوص الحصانة الدبلوماسية.

ولكن «سامنجو» ظل ينظر الى حسناء نظرة نفاذة عميقة دون أن ينطق بشيء، فارتعدت أوصالها من منظر ملامحه المخيفة وعينيه الواسعتين الدمويتين، كعيني ذئب متوحش.

وأشارت حسناء بيدها في ارتعاش قائلة: لقد قتل رجالك أحد أبناء وطني في الخارج بسهم مسموم. . فلماذا فعلوا ذلك؟

نطق «سامنجو» قائلاً: لقد استطاع هذا المصري التسلل إلى أرضنا وسرق شيئاً يخصنا. . ومن يخطو أرضنا دون إذن يستحق الموت. . وكذلك من يسرق شيئاً يخصنا.

ومد أصابعه السوداء الغليظة الى حسناء قائلاً: أعيدي إليّ تلك الوثائق التي أعطاها لك هذا المصري، فأتركك في أمان دون إيذائك.

جمدت حسناء مكانها ولم يعد لديها شك في أهمية تلك الأوراق التي أعطاها لها مواطنها القتيل، والتي دفع حياته ثمناً



لهـا . ولم تكن في حـاجـة إلى ذكـاء شـديد لتـدرك أن تلك الوثائق تتـعلق بأمن بلادها القـومي ، وربما بأمن المنطقة العربيـة بأكـملها ، وإلا مـا دفع مواطنهـا حياتـه ثمناً لتلك الوثائق . ولم يكن هناك شك أيضاً في أن ذلك الزنجي زعيم «الماساى» ضالع في المسألة بشكل مؤكد ، وان استعادته لتلك الوثائق قد يكون فيه ضرر مؤكد على بلادها .

تراجعت حسناء للخلف حتى اصطدمت بالحائط . . وكرر «سـامنجـو» عبـارته قـائلاً : قلت لك اعـيـدي لي ما سـرقـه هذا المصري من وثائق وخرائط وإلا . .

وغـمـغـمـت حـسـناء قـائلة : إنـي لا أعـرف عن أي شيء تتحدث .

«سـامنجـو» : لا تحـاولي التـهرب . . فـقـد شـاهـدك رجـالي وأنت تأخـذين تلك الأوراق من القـتيـل . . وقـد فـتشـنا جثتـه بالخارج فلم نعثر بداخلها على شيء .

ارتعـدت حـسناء قـائلة : قلت لك إنني لا أعـرف عن أي شيء تتحدث ، ولم يعطني ذلك القتيل شيئاً .

فاندفع «سامنجـو» نحو حسناء وجذبهـا في عنف فصرخت

في هلع، ولطمها «سامنجو» على وجهها لطمة أسالت دماءها. وراح يفتشها بأصابع خشنة، ولكنه لم يعثر معها على شيء، وصاح «سامنجو» في حسناء بغضب: أين أخفيت الوثائق أيتها المخادعة؟

ولكن حسناء انفجرت في البكاء دون أن تجيب بشيء.. وأشار «سامنجو» بيده فاندفع إلى الحجرة عدد من رجاله المسلحين بالرماح المسمومة، وصاح زعيمهم: فتشوا كل ركن في هذه الحجرة بحثاً عن الوثائق المسروقة.

فاندفع المتوحشون ينقبون كل شبر داخل الحجرة ويحطمون كل ما تقع عليه أيديهم، ولكنهم في النهاية لم يعثروا على شيء.

وتألقت «سامنجو» بغضب مشتعل كاللهب، وأمسك بذراع حسناء وهو يقول لها في تحذير رهيب: إذا أردت أن تنجي بحياتك.. فأخبرني أين أخفيت هذه الوثائق؟

ولكن حسناء صرخت في زعيم «الماساى» قائلة له: هيا اقتلني أيها الوحش، فلن يجعلني ذلك أعترف لك بمكان الوثائق.

فارتسمت نظرة ذئبية على وجهه وهو يقول : حسنا. . إنك اعترفت بحصولك على الوثائق دون أن تدري، وبهذا نكون قد قطعنا نصف الطريق للحصول عليها!

وفي صوت مخيف أضاف : وأنا أستطيع انتزاعها منك بوسائلي الخاصة.

والتقط خنجراً من مئزره قرّبه من وجه حسناء قائلاً : سوف أشوه جمالك أولاً. . فأصنع منه لوحة مجنونة من الخطوط الدامية التي لن ينجح أي طبيب تجميل في إخفائها، وبعدها سأبتر أصابعك واحداً وراء الآخر. . وسنرى إن كنت ستتحملين حتى النهاية!

وقرّب «سامنجو» خنجره من وجه حسناء وفي عينيه تهديد صريح مؤكد، ولكن وقبل أن يمسها، ركلته حسناء ركلة مؤلمة بكعب حذائها الحاد في ساقه، فانحنى «سامنجو» متألماً من الضربة الحادة، وجرت حسناء نحو نافذة الحجرة، ولكن وقبل أن تتمكن من القفز منها، اندفع خلفها أحد المحاربين شاهراً حربته. وقبل أن يهوى بها في قلب حسناء صاح «سامنجو» فيه : توقف أيها الغبي وإلا ضاع منا سر مكان

الوثائق للأبد. فتوقف سن الحربة عن هدفه قبل سنتيمترات قليلة، وأمسك «سامنجو» بذراع حسناء ووقف يحدّق فيها لحظة في غضب مكظوم، وقال لها في بطء: تعجبني شجاعتك.. ولكنها لن تفيدك في شيء.. وسأعرف كيف أنتزع منك سرك.

والتفت إلى رجاله صائحاً: خذوها معكم.

فانقض المحاربون على حسناء يقيدون يديها ويدفعونها للخارج، فصرخت في ذعر: إلى أين تأخذوني أيها المتوحشون؟

ولكنهم دفعوها خارج مبنى السفارة، وكانت جثة «سليم العدوى» لا تزال في مكانها في المدخل وقد انطبعت في عينيه نظرة تحذير ميتة.. كأنه يحذّر حسناء من الاعتراف بمكان الوثائق مهما كان الثمن.

وجذب «سامنجو» حسناء من شعرها قائلاً: سوف نأخذك إلى أرضنا وسط الغابات المتوحشة.. وهناك سأعرف كيف أنتزع منك سرك بطريقتي الخاصة، ولو اضطرني الأمر إلى إحراقك حية!

وصرخت حسناء في فزع لذلك الخاطر، ومحاربو «الماساى» يجذبونها بعيداً عن مكان السفارة، وتوقفت فجأة سيارة شرطة على مسافة أمتار قليلة وقد جذبتهم صرخات حسناء، وقفز منها عدد من رجال الشرطة المسلحين بالبنادق السريعة وأشهر رجال الشرطة أسلحتهم في وجوه المحاربين، وصاح أحدهم : ماذا تفعلون هنا، وأين تأخذون هذه الفتاة؟

وفي الحال تقدم «سامنجو» نحو ضباط الشرطة الذين ما أن وقعت أبصارهم عليه حتى تراجعوا في ذعر هائل إلى الوراء كأنما شاهدوا شيطاناً . . وغمغم أحدهم في هلع : المعذرة أيها الزعيم . . سامحنا على تدخلنا.

وأسرع رجال الشرطة إلى سيارتهم ثم انطلقوا بها كأنما يطاردهم إبليس.

وارتسمت ابتسامة ساخرة قاسية على وجه «سامنجو» وهو يراقب رجال الشرطة الهاربين، ثم رفع يده بإشارة خاصة. وفي اللحظة التالية أطلق احد رجاله سهماً مشتعلاً، سهماً كانت سرعته تفوق بمرات سرعة سيارة الشرطة الهاربة.

واصاب السهم الحارق هدفه للمرة الثانية ذلك المساء،

ودوى انفجار سيارة الشرطة في عنف ليبدد سكون الحي الدبلوماسي الهادئ، ويمحو وجود أي شهود على حادث الاختطاف!

وتحجرت دموع حسناء للمشهد المخيف على مسافة منها، وحدّقت في زعيم «الماساى» وقد أدركت أي رجل متوحش يكون، وأنه لا شيء يوقفه عن تحقيق هدفه.

مسحت حسناء دموعها وقد شعرت أن شجاعة هائلة قد تملكتها.. شجاعة فتاة وحيدة لأب كان أحد قادة الجيش المصري وقت حرب «اكتوبر».. ومات شهيداً في تلك الحرب دون أن يتمكن من رؤية ابنته التي وُلدت قبل أيام قليلة من نشوبها.

وفكرت حسناء، كان القدر قد ساقها بطريقة عجيبة إلى مهمة تتعلق بأمن وطنها.. ولم يعد لديها شك في أن المخابرات المصرية ضالعة في ذلك العمل بشكل ما، وأن ذلك المصري القتيل الذي أعطاها تلك الوثائق يعمل في جهاز الأمن القومي ومخابرات بلادها، وأنه دفع حياته عن طيب خاطر حفاظاً على أمن بلاده.. ولم تكن حسناء بأقل منه وطنية.. فحتى لو قطع أولئك المتوحشون أطرافها فإنها لن تبوح بسر مكان

الوثائق أبداً . . ولو كان الثمن في النهاية هو حياتها!

وأصابها ذلك الخاطر بارتياح ومنحها شجاعة هائلة . . شجاعة من لا يخشون الموت ويرحبون به، وخاصة إذا كان ثمن موتهم حماية أوطانهم .

وقادها محاربو قبيلة «الماساى» إلى أطراف الغابة القريبة في رحلة شاقة حيث كانت تنتظرهم طائرة عمودية صغيرة حلقت فوق رؤوس الغابة المفتوحة . . قبل أن تأخذ طريقها صوب غابات «الماساى» البعيدة، والتي كانت تعتبر مملكة بذاتها لا يجرؤ إنسان على دخولها .

ودهشت حسناء وهي تتساءل من أين حصل زعيم «الماساى» على تلك الطائرة الهليكوبتر التي كان ثمنها يصل إلى عدة ملايين من الجنيهات ويقودها طيار أجنبي .

ثم تذكرت شيئاً كان قد نطق به رجل المخابرات المصري القتيل قبل ثوان من موته . . وقد استعادت ذاكرتها ما نطق به في تلك اللحظة بطريقة مدهشة .

وتساءلت في دهشة . . ترى من هو السيد «م» الذي كان اسمه هو آخر ما نطق به رجل المخابرات الشهيد «سليم العدوى»؟

الهدف.. سرقة النيل!

ارتسم تعبير بالغ من الحزن والأسى على وجه السيد «م» وهو يقول: لقد ضربت تلك الفتاة الشجاعة مثلاً وطنياً رائعاً على الاستعداد للتضحية بحياتها لسلامة وطنها، بالرغم من أنها لم تعرف حتى ما تحتويه الوثائق البالغة السرية التي سلمها لها رجلنا في «كينيا» «س ١٢٠» «سليم العدوى»، ولكن لا شك أنها قدرت أهمية تلك الأوراق فرفضت الاعتراف بمكانها لزعيم «الماساى» مما دفعه لاختطافها إلى أرضه.

ومرت لحظة قبل أن يضيف السيد «م»: وبالرغم من مرور عدة أيام على ذلك الحادث وعودة السفير المصري إلى «كينيا»، وقيام مجموعة منتقاة من جهازنا بتفتيش كل أنحاء سفارتنا في «نيروبي»، فإننا لم نتمكن من الاهتداء إلى مكان

الوثائق التي أخفتها سكرتيرة السفارة. . وكل ما نرجوه أن يُبقى ذلك الوغد «سامنجو» على حياتها لنتمكن من الوصول إليها واستعادة تلك الوثائق البالغة الخطورة بعد أن تدلنا حسناء على مكانها. وما أرجوه أيضاً ألا تضعف تلك الفتاة الشجاعة. . وتخبر «سامنجو» بمكان الوثائق بعدما ستلاقيه على يديه من تعذيب شديد.

ومسح «م» مقدمة رأسه بإرهاق وهو يضيف: لقد أقمنا حراسة على سفارتنا في «نيروبي» تحسباً من محاولة محاربي «الماساى» اقتحامها إذا ما علموا من حسناء بمكان الوثائق، وهي حراسة يستحيل اختراقها ولو بجيش كامل من أولئك الأوغاد.

مال «ماجد شريف» برأسه للأمام تجاه رئيسه، وقال في صوت ينبئ بالقليل من الانفعال: إنني حتى هذه اللحظة لا أعرف ما الذي تحتويه تلك الوثائق التي دار حولها كل هذا الصراع الدموي.

زفر السيد «م» أنفاسه وقطّب حاجبيه قبل أن يقول: أنت تعرف أن بلادنا تعتمد على نهر النيل في الري والزراعة

والشرب وإنتاج الكهرباء، حتى أن المؤرخ الشهير «هيردوت» قال إن «مصر هبة النيل». . فبدونه لم يكن هناك وجود لأرضنا الخصيبة ولا لحضارتنا. . فنحن نعتمد تماماً على مياه نهر النيل في حياتنا. . فإذا ما حاول البعض حرماننا من تلك المياه. . لكان ذلك معناه الخراب والدمار لبلادنا.

تساءل ماجد مقطّباً: وهل هناك من يحاول العبث بمياه النيل التي تصل إلينا من منابعها؟

«م»: هذا صحيح يا ماجد وهو ما اكتشفناه مؤخراً. . فقد لاحظ بعض رجالنا النشيطين في قلب «أفريقيا» أن هناك مباحثات على أعلى درجة من السرية تتم ما بين بعض الدول الأفريقية غير العربية أو المسلمة، ومع دولة تكن لنا العداء الدائم: وأن تلك المباحثات تتركز حول مياه نهر النيل، بهدف بناء سدود وشق أنهار صناعية وبحيرات عند مصب النيل، لتحتجز المياه عندها وتدفعها في طريق آخر، فيحرمنا ذلك من حقنا من المياه وهو ما يهددنا بكارثة اقتصادية.

غمغم ماجد: يا إلهي. . إنها حرب اقتصادية جهنمية، فأي عقل شيطاني قد فكر فيها؟

«م» : والأسوأ أن تلك المياه المسروقة منا قد تأخذ طريقها إلى أعدائنا عبر أنابيب ضخمة تمتد من بحيرة «ڤيكتوريا» حتى المحيط الهندي، وتمتد بعد ذلك من قلب البحر الأحمر حتى بلاد الأعداء، وقد بدأ إنشاء هذه الأنابيب الضخمة بالفعل.. وهو ما تحدده الخرائط التي استطاع رقم «س ١٢٠» الحصول عليها، ومن ثم فقد طارده البعض محاولين استعادة تلك الوثائق والخرائط بأي شكل من الأشكال.

وأشعل «م» غليونه وماجد يراقبه بصبر في انتظار سماع المزيد من التفاصيل، وأكمل «م» قائلاً: لقد استطاع «سليم العدوى» أن يتسلل إلى قبيلة «الماساى» في غرب «كينيا» عبر غابتها المحرمة أو «أرض الشر» كما يطلقون عليها بجوار الحدود «الأوغندية» على أطراف بحيرة «ڤيكتوريا». وتمكن من خلال بعض أعوانه السريين في قبيلة «الماساى» من سرقة تلك الخرائط والوثائق والهرب بها.. وطارده أعوان «سامنجو» زعيم «الماساى» عبر الغابات الكثيفة إلى أن تمكنوا من قتله في النهاية على باب السفارة.

تساءل ماجد في حيرة: وما الذي يجعل قبيلة مثل

«الماساى» تتورط في مثل هذا الأمر؟

التقط «م» عدة أنفاس من غليونه قبل أن يجيب : إنه ليس خطأ «الماساى» ، فهي قبيلة مسالمة لا تنزع للشر . . ولطالما أدت خدمات كبيرة للحكومة هناك وكانت أرضها آمنة ، إلى أن أعتلى «سامنجو» زعامة وعرش القبيلة . . والأصح أن نقول أنه انتزع الزعامة من حاكمها العجوز الزعيم «كيكو» ، وصار هو الحاكم بأمره لقبيلته وأشعل حرباً مع مؤيدي «كيكو» قتل فيها ما يقارب من عشرة الآف محارب قبل أن يستتب له الحكم ، ويهرب ما تبقى من مؤيدي الزعيم السابق إلى قلب الغابة ويختفوا عن الأنظار هناك . وبسبب طبيعته الوحشية الدموية فقد أعلن «سامنجو» تحديه لحكومة البلاد ، واعتبر أن أرض قبيلته هي أرض محرمة لا يجوز لأحد المرور فيها ، واعتبر أن قوانينه فقط هي التي تطبق عليها حتى صار مجرد ذكر اسمه يلقي الرعب في القلوب ، وباتت حتى حكومة البلاد تخشى مواجهته . . ولكن «سامنجو» لم يكتف بذلك ، فهو يبحث عن زعامة أكبر ويحتاج إلى المال وإلى من يقوم بمساندته لأنه يتطلع يوماً لأن يصبح زعيم البلاد بأكملها . . ومن هنا مد يده ليتعاون مع من جاء يعرض عليه مشروع سرقة مياه نهر النيل .

تحركت شفتا ماجد قائلاً بعينين باردتين : ولم يكن من يريد سرقة مياهنا غير جهة وحيدة . . «الموساد» . . أليس كذلك؟

طرق «م» طرف مكتبه بغليونه قائلاً : بالضبط يا ماجد . . لقد استنتجت الحقيقة ، فبعدما تلقت الموساد العديد من الهزائم في مواجهتها المباشرة معنا لتخريب بلادنا ، اتجهت إلى قارتنا وأرادات طعننا من الخلف بسرقة مياهنا ، وللأسف فقد وجدت من يتعاون معها وينفذ مشاريعها في سرية بالغة لإنشاء خط الأنابيب الضخم عبر «البحر الأحمر» إلى بلادنا . وفي المقابل فقد منحت «الموساد» لسامنجو الأموال والذهب بلا حساب ، ومنحته كذلك السلاح الذي يخفيه داخل غابته استعداداً للحظة الحاسمة عندما يقرر الاستيلاء على البلاد كلها ، بل ومنحته تلك الطائرة الهليكوبتر التي اختطف حسناء بها ويستخدمها في تنقلاته عبر الغابة . وفي المقابل فإن «سامنجو» يبذل كل جهده لمساندة «الموساد» على تنفيذ مشروعها وسرقة مياه نهر النيل ، وهو المشروع الذي يجب أن نوقفه بأي ثمن ، وأن ننسف ذلك الخط فوق رؤوسهم . . وهذا لن يتأتى إلا عن طريق معرفة موقع هذا الخط ، من خلال الوثائق والخرائط التي استولى عليها «سليم العدوى» واستقرت في يدي

سكرتيرتنا الثالثة في سفارتنا «بكينيا»، وبدونها لن يمكننا معرفة مكان ذلك الخط من الأنابيب وإيقاف المشروع في مهده . . فهل تدرك الآن أهمية تلك الوثائق والخرائط؟

وضاقت عينا السيد «م» إلى أقصى حد، حتى بدتا مثل عيني ثعلب عجوز ماكر، ونطق في بطء وبلهجة خاصة قائلاً : ويهمني هنا أن أخبرك أنه قد تم تكليفنا بهذه العملية من أعلى المستويات، وأن أمن البلاد الاقتصادي بات يتوقف على سرعة وصولنا إلى مكان «حسناء» «وسط أرض الشر» وإنقاذ حياتها ومعرفة المكان الذي أخفت الوثائق والخرائط فيه. ففقدنا لهذه الأوراق السرية معناه هزيمتنا أمام «الموساد» وإتمامها للمشروع الذي يهدد اقتصادنا بالدمار . . ولحسن حظنا فإن «سامنجو» لن يغامر بقتل حسناء قبل أن تعترف له بمكان الوثائق السرية، خشية من عثورنا على تلك الأوراق بالصدفة أو بالبحث المستمر عنها.

ماجد : إنها فتاة شجاعة، وأرجو أن تتمكن من الصمود لحين وصولي إليها.

تساءل «م» بوجه مزموم وعينين ضيقتين لا تفصحان عن

أي مشاعر : هل أنت واثق أن بإمكانك دخول الغابة المحرمة التي تمتلئ بأولئك المحاربين المتوحشين الذين لديهم أوامر بقتل كل غريب يشاهدونه، لدرجة أنه حتى الوحوش البرية باتت تخشاهم، وخاصة بعد أن زرع أولئك الأوغاد كل أركان الغابة بالفخاخ والشراك الخداعية.

ابتسم ماجد ابتسامة قاسية وقال : إنني أحب دائماً القيام بالمهام التي لا يبدو هناك أي أمل في نجاحها. . فهي التي تشعل حماسي أكثر من غيرها. . حتى لو كانت ستدور داخل غابة ملعونة تمتلئ بكل أصناف الشر والخداع ومحاربين متوحشين.

وفي صوت عميق وبلهجة ساخرة أضاف : وبخاصة إذا كان العدو هذه المرة. . هم رجال «الموساد» الذين لا يريدون التوقف عن نصب المكائد لنا. . فإنني أرغب في أن ألقنهم درساً قاسياً وأن أمرّغ أنوفهم في التراب هذه المرة إيضاً. . ككل المرات السابقة.

وتألقت عينا ماجد ببريق طاغ بالحماسة والقوة والرغبة في القتال.

وابتسم «م» وتراخى في مقعده، فقد نجح في إثارة حماسة رجله الأول إلى أقصى حد. . وأشعل فتيل المعركة. . ولم يبق غير الانفجار.

انفجار رجل المهام الصعبة. . في وجه أعدائه!

والتقط «ماجد شريف» جواز سفره الذي مده إليه السيد «م» وهو يقول: إنك منذ هذه اللحظة اسمك «وحيد وجدي». . وستذهب إلى «كينيا» بصفتك سائحاً يرغب في تمضية بعض أوقات الاستجمام. . أما ما بعد ذلك فهو متروك لك. . وللظروف.

دس ماجد جواز سفره في جيبه قائلاً: إن الظروف لم تخذلني أبداً. . وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بأمن بلادي. . وإنقاذ فتاة شجاعة من أيدي خاطفيها المتوحشين.

وانطلق ماجد يغادر مكتب رئيسه بخطوات سريعة نشيطة كأنه يتعجل بدء عمله الصعب. .

وهكذا بدأت المهمة!

* * *

حفل استقبال . . وسبعة ذئاب

هبطت الطائرة المصرية في مطار «جومو كينياتا» الدولي بقلب «نيروبي» العاصمة . . وخلال دقائق كان ماجد يغادر مبنى المطار ويتجه إلى تاكسي قريب .

وأسرع سائق التاكسي الأسود اللون يفتح لماجد باب سيارته قائلاً بإنجليزية متعثرة : تفضل يا سيدي ، مرحباً بك في بلادنا الجميلة ذات الطبيعة الخلابة الساحرة .

فرفع ماجد يده بالتحية قائلاً : «جامبو» .

ولكن سائق التاكسي حدّق فيه بدهشة ، ثم سأله بالإنجليزية: ماذا تقول يا سيدي؟

أجابه ماجد بابتسامة غامضة : لا شيء لقد كانت مجرد كلمة عابرة لا معنى لها!

وأخذ ماجد مكانه داخل التاكسي، بعد أن لاحظ ببصره الثاقب ذلك الانتفاخ في جيب معطف السائق، فلم يعد لديه شك في شخصية السائق برغم لونه الأسود.

وانطلق التاكسي براكبه.. وفكر ماجد مقطّباً.. لم يكن هناك شك في أن «الموساد» كانت تتوقع وصوله بين لحظة وأخرى، وها هو أحد رجالها يتظاهر بأنه سائق تاكسي. وبالطبع كان من الغباء لشخص أن يتظاهر بأنه سائق تاكسي في بلد ما، أن يجهل معنى كلمة «مرحبا» بلغة أهل تلك البلاد!

وفكر ماجد، ترى إلى أين سيأخذه السائق المزيف وما هي خطة «الموساد» هذه المرة، وهل يفكرون في اختطافه أيضاً؟

وكان بامكان ماجد أن ينهي الموقف سريعاً ويغادر التاكسي بعد أن يترك سائقه الغبي في غيبوبة مؤلمة.. ولكنه كان يرغب في قليل من النشاط والحركة يبدأ بهما مهمته. وكان في حاجة إلى تلقين «الموساد» درساً صغيراً منذ اللحظات الأولى حتى يعطي لمهمته مذاقاً خاصاً ويشعل فتيلها.

وسأل ماجد السائق وهو يرى السيارة تشق طريقاً بعيداً عن المدينة لا أثر للحياة فيه: إلى أين تأخذني أيها الصديق؟

فأجابه السائق بابتسامة كريهة : إنني آخذك إلى طريق مختصر إلى قلب المدينة .

هز ماجد رأسه وهو يقول : إن كل الأغبياء يحاولون دائماً اختصار طريقهم ، فينتهي بهم الأمر إلى اختصار حياتهم!

أوقف السائق سيارته بفرامل حادة ، والتفت إلى ماجد شاهراً مسدسه وهو يقول له : هيا غادر السيارة أيها التعس فإنني . .

ولكن السائق لم يتح له أن يعبر عما يريد أكثر من ذلك . . ذلك لأن من تتحطم أنوفهم وأفواههم لا يتمكنون من الحديث عادة بطريقة سليمة . . وخاصة إذا كانت اللكمة التي أصابتهم قد هشمت نصف أسنانهم على الأقل!

فما أن استدار السائق شاهراً مسدسه للخلف حتى تكفلت قبضة ماجد بقطع عبارته وتهشيم وجهه ، ثم التقطت يده الأخرى مسدس السائق وهو يقول له : كم من مرة أقول أنه يجب ألا يحمل الأغبياء مسدسات محشوة في جيوبهم ويتظاهرون بأنهم سائقو تاكسي . . ولكن لأنهم أغبياء فهم يكررون أخطاءهم دائماً ولا يستمعون لأي نصيحة!

وقفز ماجد إلى خارج سيارة التاكسي . . فشاهد في انتظاره ستة رجال بوجوه شقراء يصوبون مدافعهم الرشاشة نحوه بعد أن كانوا يختفون داخل كوخ قريب من البوص .

لم يكن من شك في أنهم من ضباط الموساد وأنهم جاؤوا في مهمة وحيدة . . قتله!

وهتف ماجد : مرحباً . . يبدو أن كل فئات هذه البلاد قد تجمعت في هذا المكان للترحيب بي!

واجابه أحد الضباط الستة قائلاً وهو يجز على أسنانه : إننا سنرحب بك بالطريقة الوحيدة التي نجيدها . وأشار إلى زملائه فأطلقوا دفعات متلاحقة من مدافعهم الرشاشة . ولكن ماجد قفز من مكانه بسرعة بالغة ليحتمي خلف سيارة التاكسي . . وصوّب مسدسه نحو أقرب مهاجميه فأصابه في ساقه ، وأصاب الثاني في ذراعه والثالث في كتفه ، فسقط الثلاثة يتخبطون من إصاباتهم . والتفت ماجد باسماً إلى سائق التاكسي المزيف قائلاً له :برغم غبائك فإن مسدسك يعمل بصورة جيدة .

فأجابه السائق بآهة ألم وهو يبصق من فمه سنّ مكسور .

فجذبه ماجد خارج السيارة وهو يقول له : كان عليك الاحتفاظ بأسنانك داخل فمك فقد أخبرتني جدتي أن من يصق أسنانه بتلك الطريقة لا يعيش طويلاً!

وما أن تدحرج السائق خارج سيارته حتى انهال عليه رصاص المدافع الرشاشة من زملائه وهم يظنونه ماجد، فتعالت صرخاته قبل أن تسكن حركاته للأبد، ونظر إليه ماجد في رثاء وهو يقول : لو أنه استمع إلى حكمة جدتي . . لما انتهى إلى هذا المصير!

ولوح ماجد من خلف السيارة التاكسي التي احتمى بها قائلاً لأعدائه : افسحوا لي الطريق فقد بدأ الغضب يصيبني لهذا الاستقبال غير الودي أيها الأغبياء!

ولكن الرد جاء على شكل دفعات متلاحقة من الرصاص، فقفز ماجد إلى عجلة القيادة داخل التاكسي هاتفاً : حسناً أيها الحمقى . . لا تلوموا إلا أنفسكم فقد حان أوان جز أعناق الذئاب المتوحشة وتهذيب طباعها، وأنتم تعرفون طبعاً أن الذئاب المتوحشة لا تصير هادئة مطيعة، إلا بعد أن ترقد رقدتها الأخيرة في قبورها!

وانطلق ماجد بسيارته صوب أعدائه. . وأصاب رصاص أولهم الإطارين الأماميين فأفرغهما من الهواء. . وأصاب رصاص الآخر زجاج السيارة الأمامي فهشمه. . وأصاب رصاص الثالث مصابيح السيارة الخلفية فهشمها أيضاً.

ولكن السيارة اندفعت بكل قوتها لتطيح بالثلاثة الباقين بعيداً وتلقيهم على الأرض بأذرع مهشمة وسيقان مكسورة، وعندما حاول أحدهم النهوض على ساقيه ثانية تكفلت قبضة ماجد بإطاحته بعيداً. ثم استولى على أسلحتهم وألقاها في حقيبة السيارة، ولوّح ماجد لمهاجميه الستة المصابين بيده قائلاً: أخبروا رؤساءكم أن شهيتي قد تفتحت عن آخرها للقتال، وأنني في انتظار المزيد من الأغبياء لكي أقوم بتحطيم عظامهم ورؤوسهم.

وانطلق ماجد بسيارة التاكسي عائداً إلى قلب المدينة، وقد بدت السيارة بزجاجها المحطم وإطاريها المفرغين والثقوب في جدارها التي جعلت منها أشبه بالمصفاة، كل ذلك جعل مشهدها فريداً وهي تدخل قلب المدينة لدرجة جعلت بعض السياح يسرعون بالتقاط الصور لها!

وما أن وقعت عينا شرطي المرور على السيارة حتى اتسعت ذهولاً واندفع نحو ماجد مشيراً إليه بالتوقف وهو يصيح به : هل كنت تخوض معركة حربية بتلك السيارة؟

أجابه ماجد : هذا صحيح ، فقد واجهت لجنة استقبال وترحيب مكونة من ستة ذئاب راحت تطلق رصاصاتها ابتهاجاً بوصولي للبلاد ، والمثير للأسف أنها بدلاً من إطلاق تلك الرصاصات في الهواء ، راحت تطلقها تجاهي ، ربما تعبيراً عن شدة ترحيبها بوصولي . . ومن ثم فقد اضطررت للتعبير أيضاً عن مشاعري لتلك الذئاب الستة بقطع ذيولها ورقابها!

حدّق شرطي المرور في ماجد بدهشة بالغة دون أن يفهم شيئاً . . وتحسس مسدسه في شك وتوتر استعداداً لاستعماله في أي لحظة وهو يظن أن محدثه مجنون ، وابتلع لعابه في توتر وهو يقول لماجد : هل يمكنك أن تطلعني على رخصة قيادتك؟

أجابه ماجد : إنها في حقيبة السيارة .

فاقترب شرطي المرور من حقيبة السيارة وفتحها ، ثم التفت غاضباً إلى ماجد وهو يقول : لا يوجد شيء هنا غير ستة من المسدسات و . .

وبتر الشرطي عبارته . . ذلك أنه لم يكن هناك شخص يوجه إليه حديثه . . وقد اختفى «رجل المهام الصعبة» من المكان كأنما طار في الهواء!

وبقيت المسدسات الستة في حقيبة السيارة شاهداً على هزيمة «الموساد» . . وعلى نتيجة تلك المعركة الصغيرة .

ولقد أشعل ما حدث فتيل الانفجار . . بالنسبة «للموساد» على الأقل!

* * *

اقترب ماجد من مقهى شعبي صغير كان مخصصاً لتجمع الأدلاء ممن يصحبون السياح إلى الغابات ، وقد جلس في مدخله عدد من الأدلاء الشبان يشربون الشاي والنار جلية .

وجلس ماجد في المقهى وطلب لنفسه كوباً من الشاي راح يحتسيه في صمت . كانت معركته مع أعوان الموساد معركة صغيرة لا قيمة لها من جانبه ، ولكنها كانت كفيلة بإشعال الجانب الآخر ودفعه للعمل بسرعة وشحذ كل قوته من أجل

المطاردة .

كان ماجد يرغب في تصعيد المعركة وإشعالها . . ولكن الوقت لم يتسع له لمواجهات أخرى . فقد كان في حاجة للوصول إلى غابات قبائل «الماساى» بأسرع وقت داخل الغابة المحرمة ، كما كان في حاجة إلى «دليل» يقوده إلى تلك الأرض الخطرة الوعرة التي يجهل دروبها ويستحيل عليه دخولها وحده . . «أرض الشر» .

وأشار ماجد لساقي المقهى ومد إليه عشرة دولارات وهو يقول له : إنني في حاجة إلى دليل يقودني داخل إحدى الغابات .

تناول الساقي النقود بابتهاج وهو يقول : هذا سهل . . فحولك العشرات من الأدلاء بانتظار أي عمل .

وأشار إلى بعض الوطنيين من الشبان الأشداء الجالسين لشرب الشاي وهو يقول لماجد : اختر لك واحداً من هؤلاء .

فغادر ماجد مقعده واقترب من الشبان الزنوج قائلاً بابتسامة: من منكم يرغب في الحصول على بعض المال ويصحبني في رحلة داخل الغابات لبضعة أيام؟

على الفور قفز الشبان من مكانهم واندفعوا نحو ماجد، وهم يتعاركون فيما بينهم وكل منهم يحاول أن يكون هو الفائز بالعمل.

وأشار ماجد بيده ليوقف القتال الدائر وقال للشبان: إنني في حاجة إلى دليل ذي خبرة خاصة، فأنا ذاهب إلى أرض «الغابة المحرمة».. أو «أرض الشر» كما تطلقون عليها!

ولكن ما أن سمع الشبان الأدلاء الاسم الذي نطق به ماجد حتى تراجعوا في ذعر وخوف، ثم أسرعوا يغادرون المكان بأكمله كأنما يطاردهم شيطان ملعون!

فهز ماجد كتفيه وعاد إلى مقعده وهو يقول آسفاً: هذا هو ما توقعته.

واقترب الساقي في رعب من ماجد وسأله مرتعداً: لماذا تريد الذهاب إلى «الغابة المحرمة» يا سيدي. . إنها مكان خطر ملعون لا ينجو منه إنسان، وسيستحيل عليك أن تعثر على دليل يصحبك إلى هناك.

ولكن صوتاً جاء من الخلف يقول: أنا قادر على ذلك.

والتفت ماجد للخلف. كان المتحدث رجلاً عجوزاً أسود

اللون يبين عليه الهزال والضعف ، وقد تغضن وجهه ولا تبدو عليه مظاهر للحياة غير عينيه البراقتين اللتين يسكن فيهما حزن عميق غامض ، غموض غابات تلك البلاد!

سأل ماجد محدثه العجوز : هل أنت واثق من قدرتك على دخول «الغابة المحرمة»؟

أجابه الدليل العجوز : لقد دخلتها من قبل مئات المرات وأعرف الطريق خلالها كما أعرف الطريق إلى منزلي ، ولن تجد شخصاً يعرف تلك الغابة في هذه البلاد أفضل مني .

وصمت العجوز لحظة ثم أضاف في حزن : لقد انقطع عيشي منذ أن حوّل ذلك الأحمق المقهور «سامنجو» غابة قبيلته إلى أرض محرمة .

ربت ماجد على كتف العجوز وهو يقول له : أنا مستعد أن أمنحك من المال ما يجعلك لا تحتاج إلى عمل بقية عمرك ، بشرط أن تقودني إلى المكان الصحيح داخل هذه الغابة . . ولكن هل لديك القدرة والصحة لتصحبني في هذه الرحلة الخطرة؟

أجابه العجوز : ثق بي . . إن «جيو كومو» لم يخذل إنساناً

وثق به من قبل!

والتمعت عيناه ببريق كأنه الدموع وهو يضيف: إن «جيو كومو» العجوز لم يخطئ غير مرة واحدة.. ولقد دفع ثمنها غالياً، غالياً جداً!

لم يدرك ماجد عما يتحدث الدليل العجوز، الذي التفت إليه متسائلاً: كم الساعة الآن؟

أجابه ماجد: إنها الثانية ظهراً.

«جيو كومو»: حسناً.. هناك طائرة ستقلع إلى «الماساى مارا»[1] بعد ساعتين، وهي منطقة على حدود غابات «الماساى» الوحشية أو «الأرض المحرمة». ومن الأفضل لنا أن نستقل تلك الطائرة للوصول إلى مشارف الغابة بأسرع وقت، لأن السفر بالسيارات عبر الطرق الوعرة قد يستغرق عدة أيام.. ولكننا في حاجة إلى شراء معدات وبنادق صيد سنحتاج إليها في رحلتنا الشاقة داخل غابات «الماساى».

ماجد: لا بأس... هيا بنا فلا يزال هناك وقت أمامنا.

---

(١) هي عبارة معناها «أرض الماساى» بلغة قبائل «الماساى».

وأشار ماجد إلى تاكسي سرعان ما اندس فيه مع مرافقه العجوز. وفي اللحظة التالية نهض أحد الشبان السود الذي كان يستمع إلى كل ما دار من حديث بين ماجد والدليل العجوز، فاتجه في خطوات سريعة نشيطة إلى أقرب تليفون، ليخبر شخصاً ما على الطرف الآخر، بكل ما سمعه.

وسرعان ما كانت مجموعة أخرى من ذئاب «الموساد» قد بدأت العمل على الفور بعد أن صدرت الأوامر إليها.. وكانت مهمتها العاجلة هي منع ماجد والدليل العجوز من الوصول إلى «الماساى مارا» بأي ثمن!

* * *

الهبوط . . دون مظلة نجاة!

دارت محركات الطائرة الصغيرة القديمة المتهالكة من طراز «يانكرزيو». كانت طائرة قد بطل إنتاجها منذ عشرات السنين ولا تتسع مقاعدها إلا لعشرة ركاب فقط، وكان من العجيب أنها لا تزال تعمل بشكل صالح ما بين «نيروبي» «وماساى مارا».

ولاحظ ماجد أن مقاعد الطائرة خالية من الركاب فاتجه إلى الطيار وسأله: هل سنسافر وحدنا؟

أجابه الطيار بعض الدهشة: لقد كان هناك عدد قليل من المسافرين ولكنهم ألغوا حجزهم منذ دقائق واستردوا نقودهم، ولا أدري السبب في ذلك. . ولعل ذاك راجع إلى خوفهم من محاربي «الماساى». . فقد صاروا لا يرحبون بالغرباء كثيراً . .

والجميع يتجنبون الاقتراب من أرضهم وغابتهم.

وأدار الطيار محركاته.. فتحركت الطائرة فوق ممر الاقلاع مثل دجاجة عجوز لا تقدر على السير، ولكن سرعان ما ارتفعت مقدمتها واندفعت إلى السماء كصقر جريح.

وألقى ماجد نظرة إلى ساعته. كانت الرحلة تستغرق ساعة كاملة.. وخالجه الشك في سبب إرجاع أولئك الركاب لتذاكر رحلتهم، كأنما نصحهم شخص ما باسترداد نقودهم قبل الطيران بدقائق.

كان الأمر كله مثيراً للريبة وومض خاطر في ذهن ماجد فغادر مقعده، وراح يفتش كل أركان الطائرة. ولكن، لم تكن هناك أي قنبلة مزروعة داخل الطائرة أو مخفاة في مكان ما بحيث تنفجر أثناء الرحلة. وتنبه ماجد إلى أنه لا توجد بالطائرة مظلات نجاة، ومرة أخرى اندفع إلى الطيار يسأله: ألا توجد مظلات نجاة داخل الطائرة؟

أجابه الطيار باسماً: وما الحاجة إليها.. فإن طائرتي لم تسقط من قبل أبداً!

عاد ماجد إلى مقعده صامتاً وقد غرق في أفكاره، ودلت

غريزته على أن خطراً ما يوشك على الحدوث ، ولكنه لم يكن يعرف من أين سيأتيه الخطر.

وسأله الدليل العجوز : لماذا أنت قلق؟

فألقى ماجد نظرة إلى ساعته وقال : لا شيء.

ومر الوقت بطيئاً . . وتبقت دقائق على موعد الوصول ، وتنهد ماجد في ارتياح فقد كان قلقه لا مبرر له . . ومن نافذة الطائرة ظهرت تحته قمم غابات «الماساى» البعيدة كما لو كانت بحراً من اللون الأخضر يمتد إلى نهاية الأفق ، تجلله سحابات من الغموض والإثارة. ورمق ماجد الدليل العجوز بجواره الذي رقد فوق مقعده وقد قيد نفسه به بحزام المقعد واستغرق في نوم عميق ، لم يكن ليوقظه منه ولا اشتعال الحرب العالمية الثالثة!

وتساءل ماجد: ترى هل سيكون ذلك الدليل العجوز قادراً حقاً على مصاحبته داخل أرض الشر وقطع عشرات الكيلومترات داخل الأحراش سيراً على الأقدام؟

كانت الساعات القادمة هي وحدها الكفيلة بالإجابة!

وفجأة لمح ماجد خارج النافذة شيئاً يشق الفراغ متجهاً

صوب الطائرة بسرعة بالغة مطلقاً خلفه شواظاً من نار .

ولم يخطئ ماجد في تفسير ذلك الشيء . . وقفز من مقعده بسرعة بالغة متجهاً صوب كابينة الطيار وهو يصيح فيه الطيار : هناك صاروخ منطلق نحونا .

ولكن الصاروخ المنطلق في الهواء كان أسرع كثيراً .

ودوى الانفجار وتحطم جناح الطائرة الأيمن وقد اشتعلت فيه النيران . . وصرخ الطيار في رعب : لقد أصابنا صاروخ . . إن الطائرة تحترق وتوشك على السقوط .

أسرع ماجد نحو الطيار ودفعه من مقعده وجلس مكانه ، على حين ارتمى الطيار على الأرضية وهو ينتحب في هلع ويتلو صلاته الأخيرة!

ولم يعد لدى ماجد شك في أن ما كان يخشاه قد حدث من أن خطراً ما كان يحيط بتلك الرحلة ، ولكن الخطر لم يأت من داخل الطائرة بل من خارجها . . من مكان ما في قلب غابات «الماساى» حيث يختفي عدد من بطاريات الصواريخ ، كانت مهمتها الوحيدة اقتناص أي طائرة معادية!

ولقد كان هدفها الوحيد تلك المرة ، هو نسف طائرة ماجد

ومنعه من دخول الغابة المحرمة بأي ثمن.

وأفاق ماجد من أفكاره على الطائرة التي ترنحت بعنف وفقدت توازنها.. وبذل ماجد كل جهده محاولاً السيطرة على الطائرة القديمة. كان عليه الهبوط بأقصى سرعة وإلا امتدت النيران إلى قلب الطائرة وأمسكت بخزان وقودها.. ولكن.. كان المطار لا يزال بعيداً وسيستغرق الوصول إليه وقتاً غير متاح.

وفجأة لمح ماجد شيئاً يتجه صوب كابينة القيادة بسرعة شيطانية.

كان صاروخاً آخر!

وانحرف ماجد بالطائرة بكل سرعته لينجو من الصاروخ الرهيب، الذي اصطدم بالجناح الثاني للطائرة فنسفه وأشعل النار مكانه.

وترنحت الطائرة في عنف.. ثم اندفعت صوب الأرض متهاوية وقد فقدت كل توازنها.

وأدرك ماجد أنها النهاية، ولكنه لم يكن ممن يستسلمون بسهولة أبداً.. وكان عليه أن يبذل مجهوداً أخيراً.

لقد اختار الدخول في صدام عنيف مع «الموساد». . وعليه أن يواجه ما ترتب على ذلك من لهيب المعركة التي أشعلها.

ولم تكن حياته تهمه بقدر ما يهمه إنقاذ حسناء والحصول على الوثائق والخرائط السرية. . كان بقاؤه حياً هو الأمل الوحيد لذلك.

وتحفزت كل خلية في جسد ماجد وراحت تعمل في نشاط محموم. كان من الغباء ترك محرك الطائرة الأمامي دائراً فأوقفه ماجد حتى لا يزيد من اضطراب الطائرة التي فقد السيطرة عليها. وفي نفس الوقت ضغط على زر بجواره فانفتحت خزانات الوقود في الطائرة وتهاوى وقودها إلى الأرض.

كان ذلك التصرف يمنحه لحظات ثمينة دون أن تنفجر الطائرة أو تشتعل سريعاً بالنار، بعد أن تخلصت من خزانات وقودها.

وكان على ماجد أن يعمل على استغلال الرياح الساخنة المتصاعدة من أسفل لأعلى، لتشكل ما يشبه الوسادة لتحمل الطائرة على متنها وتهبط بها برفق لأسفل دون ضرر كبير.

ولكـن بعض الرياح البـاردة التي هبت بعنف بـددت ذلك الأمل الواهي ، وارتجت الـطائرة في عنف وهي تنـدفع لأسـفل بسرعة بالغة نحو رؤوس الأشجار العالية .

وكـان اصطدام بدن الطائرة المشتـعل برؤوس الأشجـار كفيلاً بتحطيمها إلى شظايا وقتل كل من فيها .

ولمح مـاجد بأسفل نهراً صغيراً تظلله الأشجار الكثيفة المتشابكة من الجانبين . . ولكن حتى سقوطه في النهر بمثل تلك السرعة البالغة كان كفيلاً بتحطيم الطائرة ومن فيها . . ولكن عقله المتوهج عمل بسرعة بالغة أيضاً للخروج من ذلك المأزق ، فاندفع ماجد بطائرته الصغيرة ووجهها بآخر ما تبقى له من السيطرة لتمرّ بين شجرتين متقاربتين من أشجار جوز الهند الضخمة العالية . وكما أراد ماجد تماماً فقد اصطدم ذيل الطائرة العريض بالشجرتين فتهشم وانفصل عن جسم الطائرة التي قلت سرعتها كثيراً لشدة الصدمة وفقدت أغلب قوة اندفاعها ، وتهاوت منها لتسقط في عنف في قلب النهر وتطفو فوق سطحه كأنها مركب ذو هيئة عجيبة .

واغمض ماجد عينيه وتنهد في ارتياح . . لقد بذل كل ما

في وسعه . . ولقد نجا تلك المرة أيضاً لأنه لم يستسلم. والتفت إلى الطيار الراقد في الأرض ينتحب ويصرخ وهو يتمتم صلاة غير مفهومة، طالباً الصفح والمغفرة وهو يظن نفسه قد انتقل إلى العالم الآخر. فقال لماجد باسماً : لقد نجونا بفضل ملاكي الحارس ، فإن ساعتي لم يحن أوانها بعد.

حدق الطيار في ماجد بذهول بالغ غير مصدق بالنجاة، ولكن ما أن ألقى نظرة للخارج وشاهد الطائرة طافية فوق صفحة النهر حتى قفز في مكانه صارخاً بفرحة جنونية : لقد نجونا . . نجونا . .

والتفت إلى ماجد قائلاً بإعجاب وذهول : أي عمل خارق قمت به؟

أجابه ماجد : في المرة القادمة عليك بالاحتفاظ بمظلات نجاة داخل أي طائرة تقودها . . حتى لا يكون شخص ما مضطراً لمثل ذلك الهبوط البهلواني مرة أخرى فوق أسطح الأنهار.

هتف الطيار في هلع : وهل تظنني سأقود طائرة مرة أخرى بعد ما حدث لي هذه المرة . . إنني سأعتزل هذه المهنة وسأكتفي بتربية الأبقار . لقد نصحني البعض بعدم الطيران

فوق هذه «الغابة المحرمة» ولكنني لم أستمع لنصيحتهم. . أما الآن فأول ما سأفعله أن أسرع بمغادرة هذه الأرض فوراً، فهي تجلب اللعنة لكل من يقترب منها.

واندفع إلى الخارج وألقى بنفسه في قلب النهر. . ولكنه سرعان ما عاد ليتعلق صارخاً ببدن الطائرة الطاغية فوق سطح النهر ويلقي بنفسه أعلاها في فزع، بعد أن اتجه صوبه ثلاثة تماسيح من قلب النهر فاتحه أفواهها عن آخرها!

وصرخ الطيار في فزع: لقد نجونا من الغرق لنسقط بين فكوك تلك التماسيح المتوحشة، يا إلهي يبدو أنني ارتكبت من الذنوب أكثر مما أظن!

ولكن ماجد لم يلتفت إليه واتجه إلى الدليل العجوز الذي كان لا يزال راقداً في مقعده ينعم بنوم عميق!

وهزّه ماجد وهو يقول له: لقد وصلنا إلى نهاية الرحلة يا عزيزي فاستيقظ!

ففتح «جياكومو» عينيه وتلفت حوله في دهشة، وما أن لمح قلب النهر الذي كان يطفو فوقه ما تبقى من الطائرة حتى غمغم في ذهول: أين نحن. . وأين اختفى ذيل الطائرة وجناحاها؟

أجابه ماجد : لقد حاول شخص ما مداعبتنا بطريقة مبتكرة لا أظنها أُستخدمت في الترحيب بشخص آخر غيرنا . . فأطلق بضعة صواريخ جعلت الطائرة تبدو مثل بطة عجوز كسيحة، ولحسن الحظ فإنني ممن يجيدون الهبوط فوق سطح الأنهار وإلا لكان لنا مصير آخر في قلب هذه الغابة .

واندفع الطيار إلى ماجد صارخاً : إن النهر مليء بالتماسيح المتوحشة التي ستلتهمنا .

أجاب ماجد ساخراً : وهل كنت تظنه مليئاً بالأسماك المشوية التي تنتظر من يلتهمها؟

وراقب الماء بالخارج ثم قال : سوف يحملنا تيار الماء إلى شاطئ النهر قريباً فلا تقلق .

وتنهد وهو يضيف : وأرجو ألا نجد حفل استقبال آخر في انتظارنا!

غمغم الطيار في هلع قائلاً : ما الذي يحدث هنا . . ومن الذي أطلق الصواريخ على طائرتنا ولماذا؟

ولكن ماجد لم يجب بشيء . . وتألقت عينا الدليل العجوز بوميض غامض دون أن ينطق بشيء أيضاً!

وأخيراً دفع تيار النهر بما تبقى من الطائرة إلى الشاطئ، فقفز ماجد وخلفه الدليل العجوز إليه وهما يحملان أشياءهما الخاصة وبنادق الصيد. ولكن ما أن لامس الطيار أرض الغابة حتى انطلق هارباً جهة الشرق ليغادر المكان بأقصى سرعته!

وضاقت عينا الدليل العجوز وهو يسأل ماجد: هل أنت مصر على مواصلة رحلتك داخل أرض الشر؟

اكتسى وجه ماجد بمشاعر باردة وهو يقول: إن شيئاً لن يثنيني عن دخول هذه الغابة.

حدّق «جياكومو» في وجه ماجد بنظرة عميقة وهو يقول له: هل يمكنني أن أسالك عن سبب مجيئك إلى هذه الغابة.. فإنك لم تأت هنا لصيد الغزلان أو الأيائل، أليس كذلك؟

أجابه ماجد: أنت على حق.. فقد جئت لاصطياد نمر متوحش.. نمر أسود اللون فاحت رائحته القذرة وزاد عدد ضحاياه حتى تطلب الأمر جز رقبته لتخليص العالم من شره!

فرمقه الدليل العجوز ثم قال: إنك تقصد زعيم «الماساى» «سامنجو» الشرير. أليس كذلك؟

التفت ماجد للدليل العجوز وقال له متشككاً: يخيّل لي

منذ اللحظة الأولى أن موافقتك على اصطحابي في هذه الرحلة الخطرة كان لهدف خاص بك . . فما هو؟

شرد «جياكومو» ببصره نحو الأفق البعيد قائلاً : إنني أفضل الاحتفاظ بأسبابي الخاصة لنفسي .

ماجد : حسناً . . ما يهمني هو أنك لست في صف الأعداء وإلا ما أطلقوا صواريخهم على طائرتنا وأنت في قلبها تنعم بنوم عميق . . والآن هيا بنا فليس هناك وقت لإضاعته في الجدل والنقاش . . ففي أي اتجاه سنسير؟

أشار الدليل العجوز جهة الغرب وقال : سوف نتبع هذا النهر الصغير إلى مصبه فهو ينتهي بالقرب من شواطئ بحيرة «فيكتوريا» . . ففي هذه المنطقة تتركز قبائل «الماساى» ويعيش زعيمها «سامنجو» . . وسوف نسير بالقرب من شاطئ النهر وسط الأشجار حتى لا نكون مكشوفين لمن يحاول تتبع آثارنا أو مطاردتنا إذا ما سلكنا طريق النهر بالقوارب .

رمق ماجد الدليل العجوز في صمت ، وحمل أمتعته القليلة خلف ظهره ثم تحرك في الاتجاه الذي أشار اليه «جياكومو» ، وقد استل سكيناً طويلة راح يقطع بها الأغصان الكثيفة

المتشابكة وهو يأخذ طريقة خلالها حتى لا تخدش وجهه وذراعيه .

كان الجو حاراً خانقاً شديد الرطوبة وحامت أنواع لا حصر لها من الحشرات فوق جلد ماجد وذراعه العارية تلسعه لسعات مؤلمة ، فالتقط الدليل العجوز إحدى الثمار المدلاة من شجرة قصيرة غريبة المنظر ، وقدم الثمرة لماجد قائلاً : اعتصر تلك الثمرة فوق ذراعيك العاريتين ، فلا تقترب منك أية حشرة بسبب رائحة هذه الثمرة . ففعل ماجد ما أشار به «جياكومو» فتوقفت الحشرات عن مضايقته .

ومرت ساعات بطيئة من السير وضوء النهار ينسحب شيئاً فشيئاً من الغابة . . والدليل العجوز يسير خلف ماجد دون أن يصيبه أي وهن .

واقترب ماجد من إحدى الأشجار قائلاً : سنستريح هنا لبعض الوقت .

وانزل أمتعته وبندقيته عن كتفه ، والتقط ثمرة قريبة حطمها بقبضته وراح يرتشف سائلها ثم التهم قلبها ، والتفت للدليل العجوز متسائلاً : متى سنصل إلى بحيرة «فيكتوريا»؟

أجابه «جياكومو» : إذا واصلنا السير اثنتي عشرة ساعة كل يوم سنصل خلال ثلاثة أيام على الأكثر.

نهض ماجد وهو يقول : حسناً. . لا وقت أمامنا للضياع. . فلنواصل السير.

ولكن فجأة وقبل أن يتحرك خطوة واحدة دوى صوت مخيف من الخلف. . والتفت ماجد إلى الوراء في سرعة بالغة وقد تأهبت كل عضلة في جسده للعمل.

ولكن الوقت لم يتسع له ليفعل شيئاً أمام ذلك الحيوان الرهيب الذي اندفع نحوه وهو يطلق صرخات غاضبة مخيفة رددتها أنحاء الغابة.

كان العدو هذه المرة غوريلا هائلة الحجم مخيفة الشكل، وقبل أن يلتقط ماجد سكينه الطويلة أو بندقيته ليدافع بها عن نفسه، قفز الغوريلا الضخم عليه فسقط الاثنان يتدحرجان على الأرض في معركة وحشية.

* * *



الغابة الملعونة

احس ماجد بأظافر الشمبانزي الحادة تكاد تمزق صدره، والقرد الكبير يغرز أسنانه في كتفه، فدفع ماجد بالقرد الضخم من فوقه، فسقط الشمبانزي على الأرض وهو يصرخ غاضباً، وانتهز ماجد الفرصة ليطوّق القرد الكبير بذراع فولاذية من الخلف، وراح يضغط عليها بشدة، فزمجر القرد بجنون وهو يكاد يختنق، ثم استدار بعنف ورفع ماجد فوق ذراعيه الهائلتين وألقاه نحو شجرة قريبة، ولكن ماجد دار في الهواء ليصدم الشجرة بقدميه. وبنفس السرعة طار في الهواء إلى الخلف مصوّباً ضربة قوية إلى صدر الشمبانزي جعلته يترنح بشدة، وعاجله ماجد بضربة أخرى سقط على أثرها القرد الضخم. وقبل أن يعاود الشمبانزي هجومه تناول ماجد قطعة

خشبية ضخمة هوى بها فوق رأس القرد الذي صرخ متألماً، ثم اندفع يجري هارباً تاركاً ساحة المعركة.

مسح ماجد بعض الدماء من فوق ذراعه التي تسببت فيها أظافر القرد الضخم، والتفت إلى «جياكومو» الذي كان قد ظل في مكانه يراقب المعركة في هدوء حتى نهايتها، وقال له ماجد بوجه مقطب: كنت أظن أنك ستبادر إلى مساعدتي.

أجابه الدليل العجوز في هدوء: لا أظن أنك كنت في حاجة إلى المساعدة!

والتقط أشياءه من على الأرض مضيفاً كأنما يحدث نفسه قائلاً: إن قرود تلك الغابة لم تكن بمثل هذا العداء والشر.. ولكن يبدو أن طبيعة سكان الغابة الجدد قد أثرت عليها أيضاً.. فباتت ترى أن كل غريب يدخل الغابة يرغب في إيذائها، فصارت تهاجمه قبل أن يهاجمها، وأصبحت أرض «الماساى» تستحق بأن يُطلق عليها اسم «أرض الشر»!

فرمقه ماجد في صوت، وتناول بندقيته وسكينه الطويلة وأشياءه، وشق طريقه خلف الدليل العجوز الذي سار رافعاً وجهه لقمم الأشجار كأنه يبحث عن شيء ما.

وفجأة توقف «جياكومو» مكانه وهتف في ماجد : لا تتحرك خطوة واحدة .

تساءل ماجد في دهشة : ولماذا؟

أجابه الدليل العجوز : لقد دخلنا حقل ألغام .

ردد ماجد في دهشة : حقل ألغام . . في الغابة؟

جياكومو : لقد زرعها محاربو «الماساى» لتنفجر في أي غريب يحاول اقتحام الغابة أو التسلل عبرها .

وعلى مسافة ظهر حيوان «وحيد القرن» برّي ضخم كان يزن ما لا يقل عن ثلاثة أطنان . وما أن لمح ماجد «وجياكومو» على البعد حتى أصدر صوتاً مخيفاً ودق الأرض بقدميه ثم أشرع قرنه الوحيد واندفع هادراً للأمام كالدبابة .

وصاح ماجد في «جياكومو» : أسرع بالاحتماء من هذا الحيوان الغبي .

وألقى ماجد بنفسه على الأرض بعيداً عن الحيوان المندفع كالصاعقة ، ولكن الدليل العجوز بقى في مكانه لا يتحرك ، وقبل أن يصل إليه الحيوان الضخم بمتر واحد ، انفجرت الأرض تحت وحيد القرن الضخم عندما داس فوق أحد

ألغامها ، فألقاه الانفجار قتيلاً تحت قدمي «جياكومو» الذي لم يتحرك من مكانه شبراً واحداً!

راقب ماجد الدليل العجوز ونهض في دهشة وهو يتساءل ، أي رجل يكون هذا العجوز الذي يتصرف بطريقة غامضة عجيبة؟

وفي بساطة قال «جياكومو» : فلنواصل مسيرنا . . ولكن فوق رؤوس الأشجار حتى نتحاشى الألغام .

وتسلق أقرب الأشجار إليه بخفة غريبة لا تتناسب مع سنه ، فتبعه ماجد وراح الاثنان يتنقلان قافزين فوق رؤوس الأشجار مسافة ربع ساعة ، قبل أن يقول «جياكومو» : لقد انتهت منطقة الألغام . . فلنهبط إلى الأرض .

فسأله ماجد : وكيف باستطاعتك تمييز حقول الألغام داخل هذه الغابة؟

أشار جياكومو إلى شجرة قريبة رُسم على جذعها العريض علامات حمراء من دماء الحيوانات وقال لماجد : إن هذه العلامات تحدد مكان حقول الألغام داخل الغابة وبدايتها ونهايتها . . وقد وضعها «سامنجو» ورجاله لكي يتعرفوا على

حقول الألغام فلا يدخلوها، ومن المؤسف أن حيوانات الغابة ليس لها من الدماء ولا الغريزة لتحاشي تلك الحقول، لذلك سقط منها الآلآف صرعى تلك الألغام.

ماجد: ألهذا كنت تنظر الى رؤوس الأشجار طوال الوقت أثناء سيرنا على الأرض بعثاً عن تلك العلامات الحمراء التي تحدد أماكن حقول الألغام؟

هز «جياكومو» رأسه بنعم وهبط مع ماجد إلى الأرض.. وواصلا سيرهما حتى هبط الليل. ولكن فجأة وجد ماجد نفسه يطير في الهواء وقد تعلقت قدماه اليمنى بحبل ارتفع سريعاً لأعلى. كان فخاً مخفى بمهارة وتنبه ماجد بسرعة للحربة التي طارت في الهواء نحوه وهو مدلى من أعلى، فثنى جسده بسرعة ومرت الحربة على مسافة سنتيمترات منه، وتأرجح ماجد في الهواء وقفز على الشجرة المجاورة وبضربة واحدة أسقط المحارب الذي أطلق عليه الحربة، فتهاوى المحارب إلى الأرض وتحطمت عظامه، وراح يزحف مبتعداً وهو يئن من الألم الرهيب.

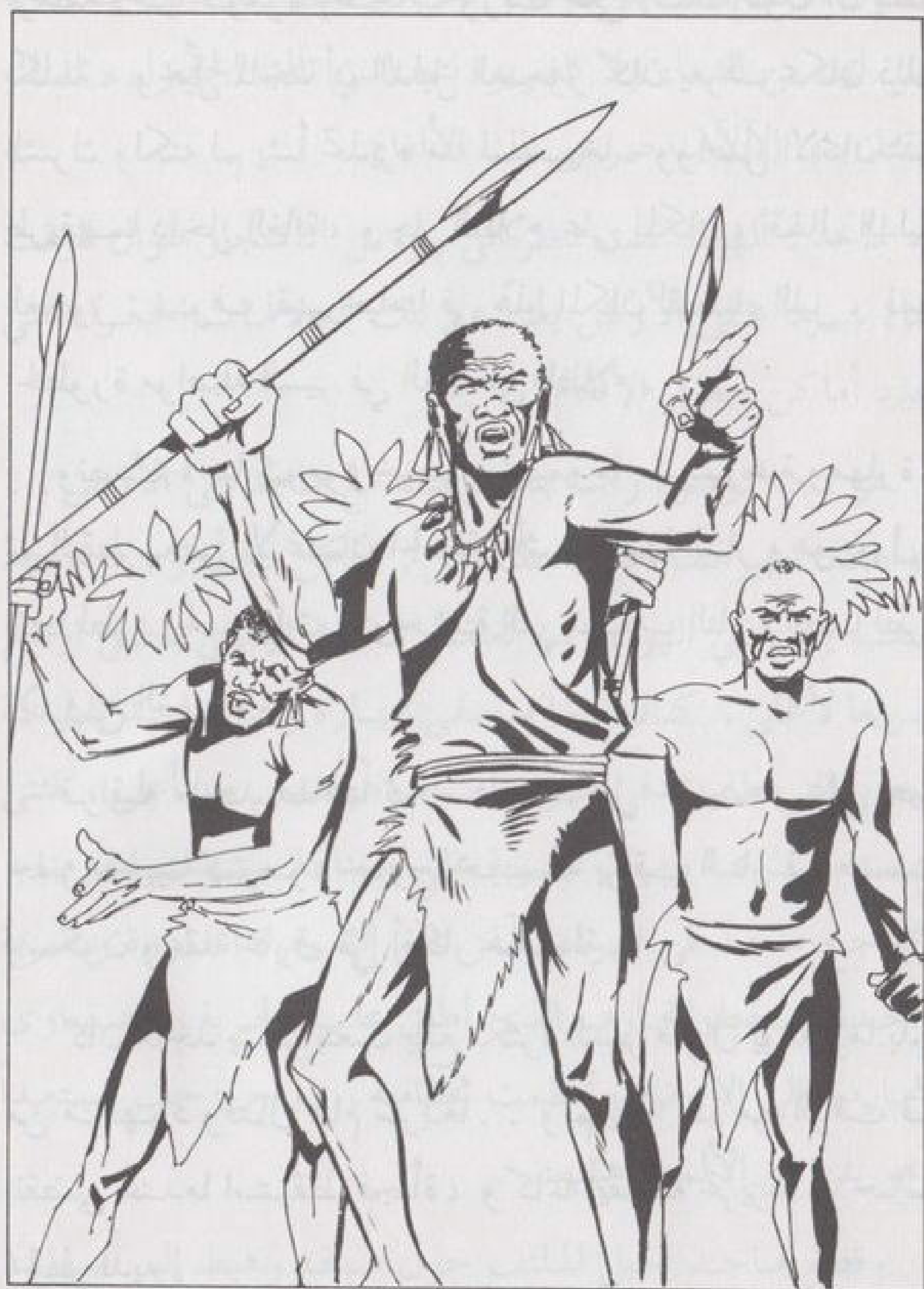
وقطع ماجد الحبل الملتف حول ساقه وهبط إلى أسفل،

فرمقه «جياكومو» بإعجاب وربت على كتفه دون أن ينطق بكلمة، وخيّل لماجد أن الدليل العجوز كان يعرف بمكان ذلك الشرك ولكنه لم يشأ تحذيره منه لسبب ما. وواصل الاثنان شق طريقهما داخل الغابة، وحل الظلام على المكان، فقال الدليل العجوز: سوف نقيم خيامنا في هذا المكان لقضاء الليل، فمن الخطورة مواصلة السير في الغابة في الظلام.

ونصب «جياكومو» خيمته وخيمة ماجد بسرعة ومهارة، ثم التقط بعض الأغصان الجافة وأشعل فيها النار وهو يقول: إنها لطرد الحيوانات المتوحشة التي تخاف النار وأيضاً لطرد الأرواح الشريرة.

فراقبه ماجد صامتاً ثم استلقى داخل خيمته، على حين جلس «جياكومو» خارج خيمته يراقب النار في صمت وسكون وعقله غارق في أفكار مجهولة.

كان ماجد يشعر بتعب بالغ لكثرة السير طوال يومه وما بذله من مجهود وقتال فنام سريعاً.. ولم يدر كم من الوقت قد انقضى عندما استيقظ فجأة، وكانما أيقظته غريزته أو حاسة الخطر لديه.



أرهف ماجد السمع . . كانت هناك خطوات متلصصة تقترب من خيمته . . وألقى نظرة من فتحة الخيمة الضيقة فلمح على ضوء النهار على البعد خمسة من المحاربين البدائيين يقتربون متلصصين في حذر شاهرين رماحهم وسهامهم .

ولم يكن هناك شك في أنهم من محاربي قبيلة «الماساى» . وتلفت ماجد حوله في حذر . لم يكن هناك أي أثر للدليل العجوز في المكان كأنما تبخر في الهواء .

وغمغم ماجد في غضب : هذا الثعلب العجوز ، لقد بدأت أرتاب فيه بشدة . وفي اللحظة المناسبة ألقى ماجد بنفسه في أرضية الخيمة عندما شقتها حربة كبيرة مرّت من فوق رأسه كالسهم ، ولو انه تأخر لحظة واحدة في حركته لارتشقت الحربة في صدره .

والتقط ماجد الحربة وقفز خارج الخيمة وقد تسلح بها . . واندفع المحاربون الخمسة نحوه شاهرين أسلحتهم البدائية وهم يصرخون صرخات وحشية غاضبة .

وتحاشى ماجد السهم الذي انطلق يئز بجوار رأسه ، وألقى بنفسه متدحرجاً على الأرض ، وفي لحظة خاطفة كانت قدمه

تأخذ طريقها إلى معدة أقرب المحاربين إليه فألقته فوق الخيمة التي تهدمت تحت ثقله، وانغرز أحد أوتادها في صدره

وأمسك ماجد بالمحارب الثاني ورفعه فوق رأسه ثم أهوى به نحو أقرب الأشجار فاصطدم المحارب بها في عنف وتمدد تحتها بلا حراك.

وتحاشى ماجد الرمح الذي صوبه إليه المحارب الثالث، وطار رمح ماجد ليشق صدر المحارب الذي سقط على الأرض بعد أن أطلق شهقة أخيرة.

وقفز ماجد في الهواء لتحاشي السهمين اللذين انطلقا صوبه مرة واحدة من المحاربين الأخيرين. وما أن لامس الأرض حتى تدحرج بسرعة وقفز ثانية لا يفصله عن مقاتليه غير شبر واحد، وفوجئ المحاربان به، وقبل أن يتمكنا من أن يفعلا شيئاً امتدت يدا ماجد لتمسك برأسيهما في عنف ودقهما ماجد بقوة، فتهاوى المحاربان على الأرض دون حراك، وقد عانيا لمحة من ألم الجحيم الذي ينتظرهما في النهاية!

ومن أعلى دوى تصفيق حاد، ورفع ماجد رأسه فشاهد قرداً صغيراً قد أطربته نتيجة المعركة فراح يصفق بقوة، ولم

يكن هناك من شك في أنه قد ناله أذى سابق من أولئك المتوحشين ولذلك لم يتأخر في إبداء اعجابه وسروره عندما شاهدهم يتلقون درساً قاسياً!

وقفز القرد الصغير نحو ماجد وهو يطلق صيحات مبتهجة فقال له ماجد باسماً : شكراً لك يا صديقي العزيز . . فقد أخجلت تواضعي بتصفيقك الحاد!

ولكن القرد الصغير لم يلتفت إلى ماجد واندفع إلى أحد المحاربين الصرعى والتقط حلية ذهبية من رقبته دسها في يده، واختطف خنجر محارب آخر له قبضة من العاج، ثم قفز هارباً واختفى بين الأغصان . وغمغم ماجد في أسى وهو يراقب ما فعله القرد : يبدو أن غزو الإنسان للغابة قد نقل بعض السلوك السيء إلى حيواناتها . . وأن هذا القرد الصغير لم يصفق لي . . إلا بسبب مصلحته الخاصة!

وسمع ماجد صوت خطوات تقترب فوق الأغصان المتكسرة فتسلح ببندقيته . . ولكن القادم لم يكن سوى «جياكومو» الذي أقبل وفي يديه بعض الفاكهة . وتأمل الدليل العجوز المحاربين الخمسة الملقين على الأرض دون أن يعلق

بشيء، ومد الفاكهة إلى ماجد قائلاً : لقد أحضرت لك الإفطار . . ولا بد أن المعركة الصغيرة التي خضتها منذ قليل قد فتحت شهيتك للطعام!

أزاح ماجد الفاكهة بعيداً وقال «لجياكومو» في شك : يخيل لي أن اختفاءك المفاجئ في هذا الوقت بالذات لم يكن بطريق المصادفة!

أجابه الدليل العجوز وهو يلتهم إحدى ثمرات الموز : لماذا تشكو . . أنت لم تكن في حاجة إلى المساعدة هذه المرة أيضاً، وعجوز مثلي ما كان يستطيع أن يقاتل مثلك!

فضاقت عينا ماجد في شك وسأله : إذن فقد كنت تعرف أننا سنتعرض لهجوم؟

«جياكومو» : لو أنك عشت طويلاً في الغابة مثلي لأدركت أن إشعال الحطب لإبعاد الوحوش في أي مكان في الغابة، لا بد أن يلفت انتباه سكانها لوجود أغراب . . ومن الطبيعي أن يأتي البعض للإستكشاف!

قال ماجد غاضباً : كان عليك تحذيري قبلها .

تأمل الدليل العجوز ماجد بملامح صارمة وقال : لو أنك

كنت في حاجة إلى التحذير في كل مرة . . لكان من الأفضل لك أن تغادر هذه الغابة على الفور . . فإذا كنت قد جئت لقتال ذلك الذئب «سامنجو» ومحاربيه المتوحشين، فعليك أن تكون متأهباً حذراً طوال الوقت حتى وأنت نائم، فمن تغفل عينه لحظة في هذه الغابة، يصير طعاماً لوحوشها في اللحظة التالية!

حدّق ماجد في الدليل العجوز بصمت . . كان على حق وكانت عيناه العميقتان تشيان بأنهما تخفيان سراً كبيراً. فسأله ماجد : لماذا ترفض أن تخبرني من تكون؟

ولكن «جياكومو» راح يطوي خيمته وهو يقول : ستعرف في الوقت المناسب . . وعندما أتأكد أنك الشخص المناسب بالفعل!

تساءل ماجد في دهشة : الشخص المناسب لماذا؟

أجابه الدليل العجوز في غموض : الشخص المناسب لتخليص أرض «الماساى» من شر «سامنجو» . . وكي لا تعود أرضاً للشر بعد ذلك!

تصاعدت دهشة ماجد إلى أقصاها ولكن الدليل العجوز لم

يصرح بأكثر من ذلك.

وتناول «جياكومو» أشياءه من فوق الأرض وهو يقول لماجد: هيا بنا.. فعلينا أن نقطع أكبر مسافة قبل أن تصل أنباؤنا إلى «سامنجو».

تساءل ماجد: وكيف سيعرف «سامنجو» بوجودنا داخل الغابة؟

أجاب «جياكومو» بوجه صارم: لا شيء يمكن إخفاؤه داخل الغابة، وعندما سيتأخر عودة فريق الاستكشاف الذي أرسله «سامنجو» لمعرفة من أوقد النار، فلا بد أنه سيعرف بوجود غرباء في الغابة وأنهم قتلوا أو آذوا رجاله.. ووقتها ستنقلب الغابة إلى جحيم.. جحيم من مقاتلي «الماساى» الذين سينطلقون في أثرنا وليس لديهم غير أمر وحيد.. قتلنا!

ضاقت عينا ماجد إلى أقصى حد، كان ذلك العجوز يمثل لغزاً غامضاً بالنسبة له، وأمسك به ماجد من كتفيه وسأله غاضباً: إن كان ما تقوله صحيحاً، فلماذا قامرت بحياتك بدخول هذه «الغابة الملعونة»؟

أجابه «جياكومو» بابتسامة صافية: ومن قال لك أن حياتي تهمني حتى أخشى عليها؟

فهزه ماجد في عنف قائلاً : من أنت . . وأي سر تخفي عني ؟

وقبل أن يجيب الدليل العجوز بشيء، فجأة تعالى صوت يشق قلب الغابة . .

صوت فزعت له طيور الغابة وحلقت بعيداً في السماء . . وحتى وحوش الغابة اندفعت تزأر وتروم هاربة وهي لا تلوي على شيء.

كان صوت دقات الطبول يرتفع عالياً في كل الأنحاء وتردده أركان الغابة في دوي مفزع . . وبدا كأن كل الأصوات في الغابة تحولت إلى تلك الدقات المجنونة .

وغمغم «جياكومو» وعيناه تتطلعان إلى الأفق في أسى : لم أكن أظن أن أنباءنا ستصل إلى «سامنجو» بمثل تلك السرعة ، ولا بد أن هناك من شاهدنا وأرسل بأنبائنا إلى «سامنجو» .

فتساءل ماجد : ماذا تقول تلك الدقات؟

أجابه الدليل العجوز : إنها رسالة من «سامنجو» لكل رجاله من محاربي «الماساى» في الغابة .

وأضاف في صوت عميق : إنه يأمرهم بمطاردتنا وعدم العودة إلى القبيلة قبل أن يقطعوا رأسينا!

جحيم المطاردة

فجأة دبَّ في «جياكومو» حماس بالغ وهو يقول لماجد : فلنسرع بمغادرة هذه البقعة .

ماجد : إنني لن أتراجع لأي سبب .

اشتعلت عينا «جياكومو» بالحماس وهو يقول : من قال أننا سنتراجع ، بل سنواصل تقدمنا ولكن في المكان الذي لا يتوقع أحد مجيئنا عبره .

تساءل ماجد : هل تقصد النهر؟

«جياكومو» : بالضبط . . هيا بنا .

واندفع الاثنان شرقاً . . وخلال دقائق طالعتهما صفحة النهر . . وتساءل «جياكومو» بقلق وهو يتلفت حوله : ما العمل الآن . . لا يوجد هنا قارب لنستقله عبر النهر .

ماجد : سيكون من الحماقة أن نستقل قارباً نلفت به الأنظار . . ومن الأفضل لنا أن نستخدم أحد جذوع الأشجار العريضة للتنقل عبر النهر ونخفي أنفسنا فوقها ببعض الأغصان والأعشاب ، فنبدو كما لو كنا جذع شجرة طافٍ يسبح فوق وجه الماء .

«جياكومو» : إنها فكرة جيدة ، ولقد استخدمتها ذات مرة في شبابي . . هيا بنا .

والتقط الاثنان جذع شجرة عريض كبير ألقياه على شاطئ النهر ، وحملا بعض الأغصان التي غطيا بها نفسيهما ثم تمددا فوق جذع الشجرة الذي دفعه التيار المائي إلى قلب النهر ، وراح يسير في بطء متجاوزاً عدداً من التماسيح التي لم تمنح جذع الشجرة أي اهتمام . . ولو كانت تدري بطبيعة حمولته لاختلف الأمر بالنسبة لها تماماً!

وتعالت دقات الطبول حتى كادت تصم الآذان في كل أنحاء الغابة . . وشاهد ماجد «وجياكومو» من مكانهما بعض محاربي «الماساى» في أرض الغابة وقد انطلقوا صارخين يفتشون كل شبر فيها بحثاً عن طريدتهم .

واستمر السفر في النهر ساعات طويلة قبل أن يعترض جذع الشجرة بعض الأعشاب النامية الكثيفة داخل النهر، التي حالت دون استمرار عبوره. وقال «جياكومو»: لا مفر لنا من العودة للغابة.. وأرجو أن يوجه محاربو «الماساى» أنظارهم إلى مكان آخر.

التقط ماجد بندقيته قائلاً: سيكون من سوء حظهم لو أنهم حاولوا مطاردتنا.

رمق «جياكومو» بندقية ماجد دون حماس ثم قال له: لن يكون في صالحنا استخدام البنادق للدفاع عن أنفسنا، لأن صوت الطلقات سيكشف عن مكاننا، وسنجد آلافاً من أعوان «سامنجو» يهرعون إلى نفس المكان خلال دقائق قليلة!

وغمغم في صوت آسف مضيفاً: للغابة قوانينها وليس كل ما يصلح في العالم الخارجي يكون مفيداً داخل الغابة!

فرمقه ماجد في صمت، وخطا الاثنان فوق شاطئ النهر وسارا في حذر محاولَين إخفاء نفسيهما وعدم إحداث أي صوت ينم عن مكانهما.

واستمر السير فترة، وفجأة علا صياح وضجة من إحدى الأشجار، وتطلّع ماجد إلى أعلى، فشاهد القرد الصغير نفسه

الذي استولى على الحلية الذهبية من محارب «الماساى»، وقد راح يقفز مكانه فوق الشجرة وهو يصرخ ويطلق الصياح العالي.

وصاح «جياكومو» غاضباً في القرد: توقف أيها الغبي وإلا ستكشف مكاننا.

ولكن ماجد قال في شك: إنني أعتقد أنه يحذرنا من شيء ما.

وأضاف وهو يتلفت حوله منقباً في المكان بعينين كالصقر: وهذا الشيء لا يمكن أن يكون غير محاربي قبيلة «الماساى»!

وقبل أن يكمل ماجد عبارته، تعالت صرخات عالية من الخلف، كانت هي صرخات المتوحشين! وصاح ماجد في «جياكومو»: عليك بالاختفاء في مكانك، وسأحاول تضليل هؤلاء البدائيين وسأعود إليك سريعاً.

وانطلق ماجد يجري بكل سرعته في قلب الغابة، ومن خلفه اندفع عدد من المحاربين المسلحين بالرماح.. وطارت الحراب حول ماجد ولكنه تفاداها واستمر في جريه.. ولكن من الناحية الأخرى شاهد عدداً من المحاربين يقطعون عليه

الطريق من الأمام. ولم يكن أمام ماجد خيار آخر فالتقط بندقيته وصوبها إلى أقرب الأعداء وأطلقها.. ثم أطلق رصاصة أخرى فانفتحت ثغرة في صفوف محاربي «الماساى» انطلق ماجد من خلالها بكل سرعته، فاندفع خلفه بقية المحاربين مطلقين صراخاً وحشياً.

وانطلقت بندقية ماجد أكثر من مرة حتى نفذ الرصاص منها، ولكن البندقية برغم ذلك لم تكن عديمة الفائدة تماماً فقد هوى بها فوق رأس أقرب المتوحشين إليه فشجها، ثم طارت قدما ماجد لتصيب اثنين آخرين. ولكن عدد المحاربين تكاثر أكثر. فاندفع ماجد يواصل عدوه داخل الغابة.. وبخفة النمر كمن بين بعض الأشجار الكثيفة المتقاربة على شكل أجمة. واقترب المحاربون وهم يتطلعون حولهم في حيرة بحثاً عنه، فالتقط ماجد حجراً صغيراً طوحه بكل قوته بعيداً، فسقط الحجر على مسافة محدثاً صوتاً عالياً، فاندفع محاربو «الماساى» الى مكانه شاهرين أسلحتهم.

وما أن أطل ماجد برأسه خارجاً حتى جمد في مكانه وقد شاهد العدو الجديد الذي برز له من بين الأشجار.

كـان نمراً وقـد راح يحـدّق في مـاجـد بعـينين تطلقـان اللهيب. . وتحسس مـاجد سلاحـه. . كانت بندقيته عديمة الجدوى دون رصاص. . وكان الأمر يبدو وكأن القدر يعانده لأقصى حد ويزيد مهمته صعوبة!

وقفز النمر نحو ماجد الذي ألقى بنفسه متدحرجاً بعيداً، والتقطت يداه قطعة خشب كبيرة هوى بها فوق رأس النمر الذي زأر بجنون، ثم أنشب مخالبه في صدر ماجدوبسرعة دفع ماجد بقطعة الخشب في فك النمر المفتوح فهشم نصف أسنانه، ولكن إصابة الوحش زادته جنوناً وثورة، ورقد فوق ماجد محاولاً تمزيق رقبته.

كانت قوة ماجد قد ضعفت إلى أقصى حد ومخالب النمر تمزقه. . وأدرك أنها النهاية، وكاد يستسلم للوحش الجاثم فوقه، ولكن إرادة السماء شاءت ألا تكون تلك هي النهاية لبطلنا، لذلك سقط شيء من أعلى الأشجار على مسافة سنتيمترات من أصابع ماجد.

وتأمل ماجد ذلك الشيء ذاهلاً غير مصدق. . كان خنجراً ذا مقبض عاجي كأنه هدية من السماء، ودون تفكير التقط

ماجد الخنجر وهوى به عدة مرات فوق رقبة النمر الذي أطلق زمجرة رهيبة متألمة، قبل أن يسقط على الأرض وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة.

ودوى تصفيق حاد من أعلى، ورفع ماجد عينيه فوق الأشجار فشاهد القرد الصغير الذي قام بتحذيره من هجوم «الماساى» والذي استولى على الحلية الذهبية قبلها!

كان القرد هو من ألقى الخنجر إلى ماجد. . وكان الخنجر نفسه ذا المقبض العاجي الذي استولى عليه من محاربي «الماساى» الصريع!

مسح ماجد الدماء المتناثرة عليه ورفع يده لأعلى قائلاً: شكراً لك أيها الصديق فقد تدخلت بطريقة مناسبة ورائعة، وكان وجودك هنا في هذه اللحظة أمر أقرب الى المعجزة.

ولكن القرد اختفى بين الأغصان كعادته في كل مرة. .

وتحرك ماجد عائداً إلى مكان الدليل العجوز وهو يشعر بآلام جراحه ويكاد يفقد وعيه لشدة آلامه.

وما كاد ماجد يقترب من المكان الذي اختفى فيه «جياكومو» حتى جمد في مكانه، فقد شاهد على البعد أحد

مقاتلي «الماساى» وقد اختفى خلف إحدى الاشجار مصوباً سهماً إلى الدليل العجوز ويوشك على إطلاقه. ولم يكن هناك أي وقت للتحذير. . واستخدم ماجد سلاحه الوحيد في لمح البصر، فطار الخنجر من يده ليصيب المحارب في صدره. ولكن المحارب ترنح وقبل أن يسقط على الأرض قتيلاً كان قد أطلق سهمه!

واصاب السهم هدفه بدقة فائقة!

وجحظت عينا «جياكومو» والسهم يخترق ظهره ويستقر بين ضلوعه. . وأسرع ماجد إليه وتلقفه بين ذراعيه قبل أن يسقط على الأرض، وقال ماجد في غضب وثورة لائماً نفسه: إنه خطئي. . كان عليّ ألا أتركك وحدك دون حماية.

فأجابه الدليل العجوز بصوت واهن: لا تلم نفسك، فإنها النهاية التي كان من المستحيل على أي إنسان أن يمنعها. . لقد كنت أعرف أن النهاية تنتظرني في تلك الغابة وجئت مختاراً طائعاً لكي تكتمل المهمة.

تساءل ماجد في حيرة ودهشة: أي مهمة؟

أجابه «جياكومو» : مهمتك أنت . . فقد كان كل شيء معروفاً . . فحكايات الأقدمين لا تكذب ، وقديماً قال الأجداد أن محارباً متوحشاً من «الماساى» سوف يعتلي عرش أرض «الماساى» بسبب خطأ حكيم «الماساى» ومستشار زعيمها «كيكو» ، وأن هذا الخطأ سيتسبب في هزيمة زعيم الماساى العجوز ليحل ذلك المحارب المتوحش مكانه وبحكم الغابة بالإرهاب .

وقالت الحكايات أيضاً أن الغابة لن ينقذها غير شاب قادم من بلاد بعيدة تقع على نهر النيل ، وأن مهمته لن تتم إلا إذا رافقه حكيم «الماساى» إلى الغابة ودفع حياته هناك ثمناً لخطئه السابق!

غمغم ماجد في ذهول : وأنت حكيم «الماساى» السابق . . ومستشار زعيم «الماساى» «كيكو» الذي انقلب عليه «سامنجو»؟

أجاب «جياكومو» في إعياء بالغ : نعم . . فقد أشرت على الزعيم «كيكو» بمهادنة «سامنجو» ومحاولة نصحه عند تمرده ، وكان الأمر يتطلب مواجهة حاسمة معه منذ البداية قبل أن

يستفحل أمره . . وبسبب خطأ مشورتي قام «سامنجو» بالاستيلاء على زعامة القبيلة وكاد يقتل عمه لولا هرب الزعيم «كيكو» مع بعض أتباعه ، وذهبت أنا إلى «نيروبي» أعيش هناك على تلقي الصدقات وظللت بمقهى الأدلاء في انتظار وصولك ، وعندما شاهدتك وعرفت أنك تبحث عن دليل ايقنت أنك الشخص الذي حكت عنه حكايات الأجداد ، وتأكد ظني من ذلك في الغابة عندما رأيتك تصارع مقاتلي «سامنجو» وحدك وتهزمهم ، وهذا هو سري الذي أخفيته عنك طوال الوقت .

وارتعشت شفتا «جياكومو» وهو يقول : عليك أن تعدني أيها الشاب أن تواصل مهمتك وأن تقتص من «سامنجو» وتزيحه من الغابات . . لتعود أرض «الماساى» كما كانت أرضاً طيبة يعمّها الخير ، ولا تعود بعد ذلك أرضاً ملعونة محرمة مليئة بالشر .

غمغم ماجد في صوت متألم : إنني أعدك بذلك أيها الحكيم الطيب . . وأعدك أن يدفع هذا المتوحش المجرم «سامنجو» ثمن كل شروره في هذه الغابة وقتله للأبرياء وتحالفه مع الأشرار .

وهمس «جياكومو» بصوت واهن : خذني إلى الشرق . . ليعرف الزعيم «كيكو» أنني دفعت حياتي ثمناً لإصلاح خطئى فيصفح عني .

واغمض «جياكومو» عينيه في رضا ، ثم مالت رأسه على ذراع ماجد وتوقفت حركته وتنفسه ، وفي اللحظة التالية علا عواء حزين من أحد حيوانات الغابة ، فجاوبته بقية الحيوانات بالعواء ، وبدا كأن كل حيوانات الغابة وطيورها ، راحت تبكي على الحكيم الطيب الذي اغتالته يد الشر .

* * *

الحربة المسمومة

حمل ماجد الحكيم العجوز فوق ذراعيه وسار به في اتجاه الشرق، وقد تحول قلبه إلى قطعة من الصخر غضباً من زعيم «الماساى» الشرير «سامنجو».

لم يكن يدري إلى أين سينتهي به السير داخل الغابة في ذلك الاتجاه، ولكنه واصل السير وهو يفكر في حزن، بأن الأقدار في بعض الأحيان تتصرف بطريقة أقرب إلى الخيال كما في الروايات.

فها هو قد جاء إلى تلك الغابات في مهمة خاصة تتعلق بأمن وطنه وحماية مياهها واقتصادها، وإنقاذ فتاة مخطوفة واستعادة بعض الوثائق المهمة منها، ليجد نفسه متورطاً في عمل يستهدف إنقاذ قبيلة بأكملها من حكم متسلط. حيث تقول

الحكايات القديمة المتوارثة لشعب تلك القبيلة أن المنقذ سيأتيها من بلد يقع على نهر النيل!

وفجأة أحاط بماجد عدد من المحاربين، ولكنهم كانوا يختلفون عن محاربي «الماساى» من رجال «سامنجو»، فقد كان أولئك المحاربون الذي أحاطوا به لا يتسلحون بغير حراب خشبية صغيرة ويبين في عيونهم الهدوء والسكينة.

وأشار المحاربون لماجد أن يتبعهم فسار خلفهم صامتاً جهة الشرق، وبعد قليل تبدت لعينيه بضعة أكواخ قليلة تمثل قرية صغيرة تختفي في قلب الأشجار وقد أحاط بها عدد من المحاربين كحراس.

وأدرك ماجد أن تلك الأكواخ لا بد وأن تكون لمقاتلي «الماساى» من أنصار الزعيم «كيكو» الذين هربوا مع زعيمهم بعد هزيمتهم، فاختفوا في ذلك الركن من الغابة.

وما ان خطا ماجد إلى ساحة الأكواخ القليلة حاملاً جثة الحكيم «جياكومو» فوق ذراعيه حتى تعالى بكاء النساء ونحيبهن.. على حين اندفع بعض شبان المحاربين ليقدموا رقصة حزينة كان كل ما فيها يعبر عن الموت والانتقال للعالم الآخر.

ثم توقف كل شيء عندما برز شخص عجوز بوجه مغضّن وجسد نحيل وقد ارتدى مئزر أسد حول وسطه، وتحلت رقبته بعقود من أنياب التماسيح . . وما أن شاهده أفراد قبيلته حتى أحنوا رؤوسهم في احترام عظيم.

ولم يكن ماجد في حاجة إلى من يخبره أن تلك العجوز هو نفسه زعيم «الماساى» السابق «كيكو»!

أحنى ماجد رأسه احتراماً للزعيم، وتساءل في حزن: هل تتحدث الإنجليزية أيها الزعيم؟

فهز الزعيم «كيكو» رأسه بنعم، ورمق جثمان «جياكومو» في حزن فقال ماجد: لقد رافقني هذا الرجل خلال رحلتي داخل الغابات ولم أعرف إلا مؤخراً أنه حكيم «الماساى» ومستشار زعيمها السابق، ولقد أوصاني بالاتجاه شرقاً إلى أن صادفني بعض محاربيك.

أجاب الزعيم «كيكو»: لقد مات «جياكومو» بشرف، فمحا ما ارتكبه من مشورة خاطئة دفع ثمنها العديد من أبناء قبيلة «الماساى».

ولاحظ «كيكو» جراح ماجد العميقة التي تسبب فيها

مخالب النمر الذي صرعه ، فأشار إلى رجاله فأحضر بعضهم سائلاً داكن اللون وبعض الأعشاب ، وغمس الزعيم «كيكو» الأعشاب في السائل ومسح بها جراح ماجد الذي شعر بعدها بأن آلامه قد خفّت وأن جراحه توشك على الالتئام سريعاً .

وقال «كيكو» لماجد : سوف تشفى من جراحك سريعاً . . فهذه الأعشاب لها قدرة عجيبة على التئام الجروح بسرعة .

وأشار «كيكو» لبعض الشبان المحاربين فحملوا جثمان «جيوكومو» فوق أيديهم ومددوه فوق طاولة خشبية في قلب الساحة ، وراحوا يرقصون حوله رقصة حزينة كأنها رقصة الوداع ، على حين أشعلت النساء بعض المشاعل ووضعتها حول الجثمان وهن يبكين وينتحبن .

وأخيراً تمّت مواراة «جياكومو» التراب على مشارف القرية ، حيث وضع الزعيم «كيكو» الورود فوق القبر ، ثم التفت إلى ماجد قائلاً : إننا نشكرك لأنك لم تترك جثة «جياكومو» الحكيم في قلب الغابة لتنهشها حيواناتها وطيورها المتوحشة .

قال ماجد متألماً : لقد قتل «جياكومو» بسبب خطئي عندما تركته وحده دون حماية .

«كيكو» : لا أحد يعيش أكثر من عمره . . والبعض منا يموت لكي يعيش الآخرون في سلام . . ولقد مات «جياكومو» من أجلنا جميعاً .

وربت الزعيم على كتف ماجد قائلاً : إنك أنت الشخص الذي تحدثت عنه حكايات الجدود . . أنت الشاب القادم من بلاد النيل . . والذي تتوقف حرية قبيلتنا وشعبنا على شجاعته وبطولته الفائقة في إنقاذ شعب «الماساى» .

قطّب ماجد في حاجبيه قائلاً : إنني لم آت لتلك البلاد إلا لهدف خاص ببلادي ، وليس لي أي علاقة بقبائل «الماساى» ومشاكلها .

أغمض «كيكو» عينيه وقال : إن حكايات الجدود لا تكذب أبداً . . ولقد انتظرناك طويلاً حتى تأكدنا من وصولك ، وقد تحققت أولى العلامات على ذلك بمرافقة «جياكومو» لك ومصرعه في تلك الرحلة .

وفتح الزعيم العجوز عينيه وحدّق في ماجد قائلاً : ونحن لن نتوانى عن تقديم المساعدة إليك ، فسوف يصحبك بعض رجالي إلى أن تصل إلى مكان «سامنجو» ليساعدوك في قتاله .

ولكن ماجد رفع يده في احتجاج قائلاً : لست في حاجة إلى أن يصحبني أحد للمساعدة ويكفيني أن يدلني شخص ما على الطريق إلى المكان الذي يقيم فيه هذا الوغد «سامنجو».

اغمض «كيكو» عينيه وقال في بطء : لقد قالت الحكايات أن ذلك البطل سيرفض أن يصحبه أحد في نهاية رحلته.. وها هو الواقع يصدق ما قالته الحكايات!

فتأمله ماجد في دهشة دون أن ينطق ، وأشار الزعيم «كيكو» بيده إشارة خاصة ، وفي الحال قفز قرد صغير من مكان ما ليستقر فوق كتف الزعيم «كيكو» بحركة بهلوانية.

وحدّق ماجد في القرد بدهشة ، كان هو القرد نفسه الذي ألقى إليه بالسكين التي طعن بها النمر ، وقد ارتدى القرد الحلية الذهبية حول رقبته فبدا شكله مضحكاً!

وقال «كيكو» : سوف يصحبك قردي الصغير الذكي «دودى» فهو أفضل من يعرف دروب غابتنا ، وهو لن يلفت الأنظار إليه أبداً بعكس أي محارب من رجالي.. ولقد أمرته أن يراقبك من بعيد منذ لحظة دخولك الغابة ليقدم لك المساعدة وقت اللزوم.

أدرك ماجد سر تصرف القرد الصغير وإلقائه السكين التي أجهز بها على النمر، وتحذيره له بعد ذلك من قدوم محاربي «الماساى»، فابتسم وهو يربت على رأس القرد الصغير.

وغادر ماجد أكواخ القرية القليلة إلى قلب الغابة، والقرد الصغير يتقدمه قافزاً فوق رؤوس الأشجار في حركات بهلوانية.

وابتعد ماجد مسافة كافية فلم يتح له أن يشاهد ما حل بقرية الزعيم «كيكو». فمن مكان ما برزت رأس لأحد محاربي «الماساى» من رجال «سامنجو». . ثم أطلت رأس أخرى وثالثة وعاشرة. .

وبإشارة خاصة من أحد المحاربين انطلقت السهام لتحصد رجال «كيكو» الواقفين لحراسة قريتهم الصغيرة، فتساقطوا على الأرض دون صوت.

ثم بدأ هجوم محاربي «سامنجو». . فاندفعوا إلى ساحة القرية الصغيرة يطلقون سهامهم وحرابهم على كل من يصادفونه في طريقهم، ويشعلون النيران في الأكواخ فيقتلون الأطفال والنساء بداخلها.

وغادر الزعيم «كيكو» كوخه ذاهلاً وهو يشاهد المذبحة

المروعة أمامه . . وجمد في مكانه وقد أصابه الشلل .

كانت حكايات الأجداد تقول بأنه سيعود مرة ثانية ليحكم قبيلة «الماساى» مع أتباعه . .

ولكن عندما ارتشقت حربة في صدره وارتمى على الأرض ، أدرك أن حكايات الأجداد لم تكن صادقة بأي حال من الأحوال وأنها قد كذبت تلك المرة . وأن شيئاً ما لن يتمكن من هزيمة «سامنجو» وإزاحته من عرش قبيلة «الماساى» ، وأن مصير ذلك الشاب القادم من بلاد النيل ، سيكون هو الموت بكل التأكيد . . داخل «أرض الشر»!

* * *

لاح لعيني ماجد عن بعد عدد كبير من الأكواخ التي انتشرت في ساحة واسعة خالية من الأشجار ، وقد اشتعلت النيران تحت القدور وتمددت ذبائح الشواء الكبيرة فوق النيران استعداداً لعشاء فاخر كبير . . على حين انتشر عدد كبير من المحاربين في كل أرجاء القرية حاملين رماحهم وسهامهم

لحراستها.

ولمح ماجد في أحد الأركان عدداً من المدافع الرشاشة قد انتصبت استعداداً للعمل في أي لحظة، ودقق ماجد النظر خلف بعض الأشجار الكثيفة فلمح هيكل طائرة هليكوبتر قد تم إخفاؤها بمهارة وسط الأشجار، فأدرك أنها الطائرة التي يستخدمها سامنجو في تنقلاته داخل الغابة، والتي استخدمها في اختطاف حسناء.

ودار ماجد بعينيه من مكانه من أعلى الشجرة فلمح في ركن القرية كوخاً كبيراً يزينه ريش ملون فوق مدخله ويقف على حراسته عدد من المحاربين الأشداء، فأدرك ماجد أنه كوخ «سامنجو» الذي يقيم فيه.

وكان من الجنون أن يحاول ماجد اقتحام القرية وحده وقتال مئات المحاربين من «الماساى» وهو دون سلاح عدا خنجره الصغير.. وفكر ترى أين يحتفظ «سامنجو» بحسناء في أكواخ القرية الواسعة.

وهمس ماجد للقرد الصغير: هيا بنا «دودى» عليك بالعمل واكتشاف أين يخفي هذا الشيطان أسيرته داخل اكواخ

القرية.

وأشار ماجد بيديه بما يريده القرد الصغير الذكي، الذي أطلق صياحاً خافتاً وقد فهم المطلوب منه، فقفز إلى الأرض واندفع نحو ساحة القرية. ولكن ما أن شاهده محاربو القبيلة حتى اندفعوا خلفه برماحهم، ولكن «دودى» راح يطلق صرخات فزعة ويقوم بحركات بهلوانية جعلت مطارديه يتوقفون مقهقهين عن مطاردته لشدة إعجابهم بحركاته، فتوارى «دودى» خلف صف الأكواخ الكبيرة ليقوم بمهمته، ومرت دقائق قبل أن يقفز عائداً إلى ماجد ممسكاً بشيء في يده.

وتأمل ماجد في ذلك الشيء.. كان منديلاً رقيقاً من الحرير مطرزاً في أطرافه اسم «حسناء» بخيط وردي.

هتف ماجد في القرد الصغير: اين عثرت على هذا المنديل؟

فأشار القرد إلى كوخ «سامنجو»، فهتف ماجد: هذا رائع فهو يسهل المهمة.. والآن لم يتبق سوى عمل صغير في الوصول إلى كوخ هذا الوغد وإنقاذ حسناء منه، وتلقين ذلك الشرير «سامنجو» درساً قاسياً ثم الهرب من تلك الغابة اللعينة بواسطة الطائرة الهليكوبتر المخفاة خلف الأشجار.

وفكر لحظة متسائلاً : ولكن كيف السبيل للوصول إلى كوخ «سامنجو» دون أن يلاحظنا حراسه من المحاربين الأشداء؟

ولمعت الفكرة في عيني ماجد، كان عليه إشعال حريق صغير في اكواخ القرية يشغل به سكانها، فيستغل ذلك في إنقاذ حسناء دون أن يلاحظه أحد المحاربين أو سكان القرية.

ولمح ماجد أحد المحاربين يقف أسفل الشجرة المختفي بين أغصانها، وكان ممسكاً بقوسه وسهامه، فقفز ماجد فوقه في حركة عنيفة فارتطمت رأس المحارب بالأرض وتمدد فوقها دون حراك. فالتقط ماجد القوس وأحد السهام، وأشعل في السهم النار بحكه في قطعة خشب اخرى.. ثم صوب السهم إلى أحد الاكواخ في القرية وأطلقه من بين الاشجار.

وأصاب السهم هدفه واشتعلت النار في الكوخ بسرعة. ولكن وفي اللحظة نفسها أطلق القرد الصغير «دودى» عواء محذراً، فالتفت ماجد إلى الخلف، ولكن حركته جاءت متأخرة.. متأخرة كثيراً.

فقد طارت حربة أحد المحاربين لتستقر في كتفه.. وسقط

ماجد على الأرض وهو يشعر بألم هائل مكان الإصابة . . بينما بالسم في سن الحربة يسري في عروقه فيسبب له آلاماً هائلة في جسده .

وكان آخر ما وعاه قبل أن يفتك به السم . . عينا «سامنجو» ، وهو يطل عليه بوجه بارد ساخر . إلى أقصى حد .

ثم لم يعد «ماجد شريف» يشعر بشيء بعد أن شله السم وجعل الدنيا تغيب عن عينيه لشدة الألم!

* * *



فهرس

ايها القارئ

لم تنته مشاكل

ماجد شريف في هذه القضية

بل يمكنك متابعتها في

المغامرة القادمة : الخدعة القاتلة

العملية القادمة :

الخدعة القاتلة

ينجو «رجل المهام الصعبة» من الموت ليجد نفسه أسير زعيم «الماساى» وضباط الموساد.. ولكنه ينجح في الهرب من أرض الشر ومعه حسناء بعد مطاردة رهيبة..

ولكن ما أن يصل الاثنان إلى «نيروبي» حتى يتعرض ماجد شريف إلى خدعة قاتلة يكون ثمنها رصاصة في رأسه.. بعد أن قامت الموساد بخدعة جهنمية قاتلة.. فكيف كانت نهاية تلك المغامرة لرجل المهام الصعبة؟

هذه العملية :

تأليف : مجدي صابر

ارض الشر

في قلب الغابات الكينية، تحولت فجأة قبيلة «الماساى» المسالمة إلى قبيلة من المتوحشين الأشرار، وتحولت أرضهم إلى غابة للشر..

ويختطف زعيم «الماساى» سكرتيرة السفارة المصرية في «كينيا».. ليجبرها على الاعتراف بمكان بعض الوثائق السرية الهامة..

وينطلق «ماجد شريف» إلى غابات «الماساى» الرهيبة في مهمة مزدوجة لإنقاذ سكرتيرة السفارة واستعادة الوثائق السرية.. فهل ينجح في اختراق أرض الشر؟



دار الجيل
بيروت

BLUE BIRD




تحيا مصر